نيل المفاز بالعود إلى الحجاز

للشيخ الإمام والغوث الجامع الهمام
مجمع الشأن ومجدد القرن منار الشريعة
المحمدية وراية الحقائق الأحمدية من زرع
حب المولى في القلوب حتى كاد كل قلب يضمحل أو يذوب
الشيخ الحاج إبراهيم ابن الحاج عبد الله إنياس
الكولخي التجاني

نفعنا الله بعلومه وأسراره آمين



من هو الشيخ إبراهيم رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سر الذات وترجمان الأسماء والصفات سيدنا محمد خير البريات ، وعلى آله وأصحابه ينابيع الفضل والفيوضات

وبعد : فهذه نبذة يسيرة من ترجمة المؤلف رضي الله عنه .

نسبه

فهو الشيخ بجميع مراتبه ، ولسان وقته ، ونور زمانه ، ونسيج وحده ، محل نظر الله من خلقه ، والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه ، فريد دهره في العلم والدين ، وشيخ أوانه في تربية المريدين ، علم المهتدين ، وخاتمة المحققين في القرن الرابع بعد الألف ، بهجة الليالي والأيام ، وحجة العارفين الأعلام ، غرة الأمة المحمدية ، وناصر الطريقة الأحمدية الابراهيمية الحنيفية ، وزبدة رجالها الأجلة ، مطلع شمس العلوم والمعارف ، ومجمع الحلوم والغوارف ، الحرز المنيع ، والكهف الرفيع ، درة تاج الصديقين الكرام ، وواسطة العقد النفيس من الأقطاب الأعلام ، الرافع رايات المكارم بين الأنام ، الجامع لما افترق من علوم القوم بأسرها من أول الأمة إلى آخرها ، أخي الأخلاق الحسنة المرضية ، والشمائل القدسية المحمدية المنتهي في العلوم الحقانية الوهبية ، والمعارف الرحمانية الربانية

إلى المرتبة التى يقصر عن وصفها الإطناب والإسهاب ، فضلا وتفضيلا من الكريم الوهاب ، عديم النظير والمثال، فى الحال والمثال ، من تسنم قنن المجد والصفاء والكمال بالوراثة المحمدية والتربية الأحمدية الختمية المتوج بتيجان الجواهر الحسنة الأنيقة ، صاحب الاشارات الخفية والافادات العظيمة ، والعبارات المفهمة ، شيخنا ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الربانى ، والعارف الكبير الصمدانى ، الشيخ إبراهيم ابن الحاج عبدالله التجانى * ابن السيد محمد * ابن مدمب * ابن بكر * ابن محمد الأمين * ابن صنب * ابن الرضى رضوان الله عليهم أجمعين ، ونفعنا به وأحبائنا آمين .

مولده (رضي الله عنه)

ولد رضي الله عنه يوم الخميس بعد العصر عند انتصاف رجب الفرد سنة ١٣٢٠هـ (ولد صاحب الفيضة قطب أهل عصره) رئيسا بطيبة، قرية بناها والده رضي الله عنه . ويكفيك فى فضلها والتحقق باسمها : كونها مسقطا لرأس هذا الامام الجليل ذى الشأن العظيم الجليل .

نشأته (رضي الله عنه)

ونشأ فى حجر والده رضي الله عنه ، ذا عفاف وديانة وتقى ومروءة وصيانة وأدب وورع ، وقرأ عليه القرآن حتى حفظه حفظاً جيّداً برواية ورش

عن نافع يافعا . وقد ظهرت منه النّجابة فى صغره ، ثمّ شمر عن ساعد الجدّ والاجتهاد فى تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم حتى استفاد وألم وبلغ فيها المنى والمراد ، وتبحّر فيها وتفنّن بجميع فنونها ، حائزا قصب السّبق فى أقرب مدة ، وأقامه الله رحمةً للعباد ، ونفعا لكل حاضر وباد ، وتولى تعليمه والده المذكور ذو القدم الراسخ والصّيت المشهور ، حتى تلقّى منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الاسرار والأذكار والعوائد ، ثم فتح الله عليه فتحا تامّا ، وأعطاه علوما وهبية لدنية حتى تضلّع منها ، ولم يقرأها على أحد بل قد علّمه إياها الذى هو بكل شيء عليم بالهام ربانى

تَلَقِّيهِ الْعُلُومَ وَتَلَامِذَتُهُ رضي الله عنه

ولم يزل مشتغلا بالافادة والاستفادة حتى كثر عنده الراغبون ، وانتفع بمدرسته المتعلمون وتخرّج على يديه علماء فضلاء عاملون ، وقد شهد له بذلك أهل الدراية والعرفان ، فعادت بركته على جميع الإخوان وعلت رتبته على سائر الأقران .

سُلُوكُهُ الطَّرِيقَةَ (رضي الله عنه)

وقد تلقى الطريقة التجانية عن فريد دهره وحجة أهل عصره ، وزمزم أوراده وأسراره ، ومجمع أنواره وأذكاره ، شيخه ووالده العالم العلامة

والقدوة الدرّاكة الفهامة ، خليفة الشيخ التجانى بلا ريب ، وحامل راية طريقته فى بلاد الغرب ، ألا وهو الشيخ الامام ، وأحد الاولياء الاعلام ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، فصار بذاخريت الطريقة الحاج عبد الله ابن السيد محمّد لايزال ربّه الكريم يرقيه إلى المقام الأحمد ، ثم بعد ذلك تاقت نفسه الكاملة الأبية المطمئنّة الراضية المرضية ، ونهضت همته العلية التى لو توجّهت إلى الجبال الراسيات لدكت فى الحين ، إلى اجتناء ثمار العلوم الحقّانية والأذواق الملكوتية والاسرار الجبروتية ، حتى بلغ فيها مبلغا لا مطمع لأحد فيه بعده ، لا من قبله ولا من بعده . ولله درّ القائل ذى الخطاب المستحسن اللّذيذ ، والعلاّمة الشاعر الخنذيذ . وهو موناك التنذغى فى نونيته مادحا بها هذا الشيخ رضي الله عنه :

قُطْبُ التجَانِيَةِ الشَّهِيرُ وتاجُهَا * وإمامُهَا وجدودُهُ تيجانُهَا
ذُو الرُّتْبَةِ العُلْيَا التى تَنْحَطُّ عنـ * ـهَا الْعَارِفونَ ولوسمَا عرفانُهَا
وَبِهِ الشَّرِيعَةُ قَدْ تَمكَّنَ صِيتُهَا * وبهِ الْحَقِيقَةُ قَدْ سمَا بُنْيانُهَا
كِلْتَاهُمَا لَوْلاَهُ أَقْفَرَ رَسْمُهَا * بَيْنَ الْوَرَى وَتَدَكْدَكَتْ أَرْكَانُهَا

ثم انتصب لإفادة الخلق بالعلوم اللدنية الوهبية والمعارف الربانية ، لياليه وأيامه ، صباحه ومساءه .

تَسَنُّمُهُ ذِرْوَةَ الْعُلُومِ

أما الكتاب والسنة والأدب والتعليم والارشاد والفصاحة والبلاغة

والبراعة فقد تسنّمها واستبدّ بها . حتى أن غيره طفيليّ مائدته فيها وشهد له بذلك أدباء هذا الزمان ، ما بين القاصي منهم والدان، وإذا تكلّم جثت فصحاء العرب على الرُّكَب بين يديه رافعي رءوسهم ومصغي أسماعهم إليه ، ويصير قسّ بن ساعدة باقلا لديه . وبيده زمام جميع العلوم العقلية والنقلية ، ويتصرّف كيف شاء في معانيها، ويستخرج دررها ارتجالاً من معادنها .

وأما الحقائق الربّانية والمعارف القدسية والأحوال الذاتية، فهو حامل رايتها ومفتاح أبوابها ومشكاتها ومصباحها وزجاجتها، وله فضائل كثيرة ومزايا جمّة

مفاخره ورفقه رضي الله عنه

وأمّا مفاخره وكثرة نفعه لخليقة ربّه النّاطق منها والجامد ، فلا يفي بها القلم واللسان ، وقد رضع ثدى الفضل والأدب والاجتهاد في طلب رضى المولى الحنّان المنّان ، ومواساة المساكين والفقرا والزمنى، فشبّ على حبّ ذلك الرضاع حتّى طار صيته وشاع ذكره في الآفاق ، وقد رست عنده رايات السّبق في ذلك كلّه بلا نزاع ولا شقاق ، ومازال مانح الفضائل ، ومعطي المنن والفواضل في كل آنٍ وزمان ، وسواكب إفضاله وجوده وإحسانه غادية رائحة إلى كل مكان . وبالجملة ففضائله لا تحصى ولا يأتي بها الاستقصاء ، وقد قصر عن استيفاء محاسنه الأرقام

ولو تكسرت في الكواغيد جميع الأقلام .

إمارته للنظم والنثر (رضي الله عنه)

وأما جودة نظمه ونثره وماله من أجناس البديع والبيان وفصاحة القلم واللسان ، فقد قصر عنها سحبان وحسان .

مؤلفاته (رضي الله عنه)

وله تآليف عديدة وتقاريير كثيرة وأجوبة مفيدة وتقاييد مقنعة جامعة لما افترق من نصوص الأئمة الهداة السراة الثقات ؛

فمن تآليفه :

(كاشف الالباس ، عن فيضة الختم أبي العباس ، مع تذييله) ،

ومنها (مسرة المجامع في مسائل الجامع) ،

ومنها (الخمر الحلال في مدح سيد الرجال) ،

ومنها (تيسير الوصول إلى حضرة الرسول) ،

ومنها (طيب الأنفاس في مدائح الختم أبي العباس) ،

ومنها (روض المحبين في مدح سيد العارفين) ،

ومنها (النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني) ،

ومنها (روح الادب ، لما حواه من حكم وأدب) ،

ومنها (نور البصر في مدح سيد البشر) ،

ومنها (السر الأكبر والكبريت الأحمر) ،

ومنها (تحفة الأطفال فى حقائق الأفعال) فى الصرف ،
ومنها (الفيض الأحمدى فى المولد المحمّدى) ،
ومنها (تبصرة الأنام فى أن العلم هو الإمام) ،
ومنها (روح الحب فى مدح القطب).

وناهيك منه شهادة بفضله وسمو مقداره ورفعة همته أن جعله الله منهلا للواردين ، وموئلاً للمريدين السالكين ،وغياثاً للمستغيثين وظفرا للعافين وقوتا للمرملين ، وما خصّه الله من وقوع الفيضة التى ذكرها القطب المكتوم والخاتم المحمدى المعلوم ، شيخنا وممدّنا ابو الفيض مولانا أحمد بن مَحَمّد التجانى على يده ، وقد شاعت وتواترت بأنها تقع فى آخر الزمان ، وقد وصل على يديه إلى كمال المعرفه العيانية الشهودية ألوف بعد ألوف ، ويأتيه فى كلّ يوم خلق كثير وفوداً على وفود بيضاناً وسوداناً ، يدخلون فى طريقتنا التجانية ذات المنح الربانية والمواهب العرفانية ، أفواجاً أفواجاً من جميع أقطار الأرض . ولا يأخذ عنه أحد هذا الورد الجسيم إلاّ وقد انتفع وفاز منه بالمدد الربّانى وحلول مواطن العرفان. ولله درّ صاحبِ النُّونية المتقدّم ذكره حيث يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ زَجِرَ الْعِتَاقُ لِبَابِهِ * وَتَنَافَسَتْ فِى زَوْرِهِ رُكْبَانُهَا
إنَّ الْخَلَائِقَ فَوْزُهَا فِى زَوْرِكُمْ * وبِتَرْكِ زَوْرَتِهَا لَكُمْ حِرْمَانُهَا
فَازَتْ بِنَفْحَتِكَ الخلائقُ واقْتَفَى * سُودَانُهَا فِى زَوْرِكُم بِيضَانُهَا
جُزْنَ الطَّرِيقَ ،أَلَنْتُمُ لِمُرِيدِكُمْ * لَاصَخْرُهَا يَخْشَى وَلَاصَفْوَانُهَا

أَنْتَ الْإِمَامُ إِمَامُهَا وَطَبِيبُهَا ✺ خِرِّيتُهَا لُقْمَانُهَا سُلْطَانُهَا
ولأنت تبّعها وقيصرها أنو ✺ شروانها ونجاشها خاقانها

وهو رضي الله عنه القائم بأعباء التربية النبوية المحمديه فى وقته حامل لواء الترقية الأحمدية الابراهيمية ، وهيكل الأسرار والأذواق والأنوار والأحوال والمقامات والتجليات الختمية. وناهيك لهذا القول شهادة أن قد أتاه بعض من رؤساء أبناء ساداتنا وأشياخنا العاويين الذين هم أساس الطريقة للانخراط فى سلكه، والاهتداء بهديه والتعلّق بأذياله ولأخذ الورد التجانى ، كأبناء شيخنا ووسيلتنا إلى الله الشيخ محمّد الحافظ الذى بيده انتشرت الطريقة فى المغرب الأقصى ، وأبناء خليفته وصهره السيد مُحَمْدِ بضم الميم الأولى وسكون الثانية ، وأبناء الشيخ مولود فال، وأبناء الشيخ محمد فال ، وأبناء الشيخ محمد الحنف ، وربـاهم أحسن تربية وأرشدهم إلى أقوم صراطٍ وطريقة وألقاهم بين يدي مولاهم بأحسن حالة، داخلين فى حوز حظيرته ، سكارى بخمر حضرته ، فانين عن وجودهم باقين هنيئاً ثمّ هنيئاً لهؤلاء السادات الأعلام لما تعلقوا بأذيال هذا الشيخ المرشد المربى المرقّى الهمام، ولم تحجبهم البنوة للمشائخ عن كامل العصر والوصول إليه ، لأنّ البُنُوَّةَ للمشايخ هى التى حجبت وعاقت كثيراً من أهل العصر كغيرهم من أهل العصر القديم ، اللهم اكشف عنّا الحجاب ، وأزل عنا العلائق والعوائق كما كشفته وأزلته عن ذوى الألباب أهل التصديق واليقين ، ورقّنا إلى أرفع مقام فى

كل حين ، والفوز كل الفوز لمن أدرك هذا الشيخ وصاحبه وصدّق به، أو رآه وسلم له ولم يعاده . وتواتر وشاع فى جميع أقطار الأرض بأنّه لا نظير له فى تربية الخلق وإرشادهم إلى الحضرة القدسية العليا.

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ ✻ كَذَبَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ

ولله درّ القائل فى الثّناء عليه :

شَيْخٌ إِذَا رَبَّى يَكُونُ كَأَحْمَدٍ ✻ وَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ مِثْلَ الْأَصْمَعِى

وفى هذا المعنى يقول أخوه وصنوه العلامة الفهّامة المدقّق والشاعر المفلق العارف بالله الحاج محمد زينب ابن الشيخ الحاج عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ الْإِمَامَ قَدْ نَصَبْ ✻ مَا يَنْفَعُ الْعِبَادَ فَيْضًا يَنْسَكِبْ

عَلَى يَدَىْ وَاسِطَةِ التِّجَانِى ✻ بُرْهَامَ ذِى الْأَنْوَارِ وَالْعِرْفَانِ

فَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ مِنْكُمْ رَبَّهْ ✻ يَرْضَاهُ شَيْخًا بِتَرَوِّى سببهْ

شَاهِدُ حُبِّ رَبِّهِ مَحَبَّتُهْ ✻ شَاهِدُ بُغْضِهِ كَذَاكَ بَغْضَتُهْ

وَارِثُ سِرِّ شَيْخِنَا التِّجَانِى ✻ عَنْ جَدِّهِ خَيْرِ بَنِى عَدْنَانِ

قَدْ جَدَّدَ الدِّينَ بُعَيْدَ مَا انْدَثَرْ ✻ وَسُنَّةَ الْمُخْتَارِ مِنْ بَنِى مُضَرْ

أَلْفَى طَرِيقَ شَيْخِنَا التِّجَانِى ✻ بِقُطْرِنَا سَاقِطَةَ الْمَبَانِى

أَلْفَى طَرِيقَ شَيْخِنَا الْمَكْنُونِ ✻ قَدْ بِيعَ بِالْأَمْوَالِ وَالْعُيُونِ

فَرَمَّ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَدْ هُدِمْ ✻ وَطَالَ فِى الْجَوِّ بِنَاءً كَالْعَلَمْ

أَقَامَهُ اللَّهُ لِنَفْعِ الْخَلْقِ ✻ وَنَفْىِ كُلِّ مُهْلِكٍ بِالْحَقِّ

إلى أن قال :

تَعَلَّقَنْ بِهِ إِذَا أَرَدْتَهْ * وَلْتَتْرُكَنَّ كُلَّ شُغْلٍ رُمْتَهْ
وَإِنَّمَا سَلَاسِلُ الشُّيُوخْ * قَدْ نُسِخَتْ بِهِ مَعَ الْفَخُوخْ
رَبَّى الْمُرِيدِينَ عَلَى نَهْجٍ حَسَنْ * مِثْلَ التِّجَانِي شَيْخِنَا مُعْطِي الْمِنَنْ
قَدْ نَبَّهَتْ بِهِ عُيُونُ النَّائِمِينْ * وَأَبْصَرَتْ بِهِ قُلُوبُ الْغَافِلِينْ
بِالذِّكْرِ وَالسُّنَّةِ أَسْنَدَ الْإِمَامْ * أَفْعَالَهُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ يُرَامْ
فَاسْتَسْلِمُوا لَهُ شُيُوخَ الْوَقْتِ * إِلَّا رَجَعْتُمْ لِعَظِيمِ الْمَقْتِ
لِأَنَّ فِي أَسْرَارِ إِبْرَاهِيمَا * فِي ذِي الطَّرِيقِ مَوْقِعًا عَظِيمَا
فَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ بِالسَّبْقِ * وَنَحْنُ مِنْ أَوْلَادِهِ فِي الْحَقِّ

إلى أن قال :

بَيْنَ يَدَيْهِ أَيُّهَا الْمُرِيدُ * تَأَدَّبَنْ يُرْفِدْكَ مَا يُفِيدُ
وَطَالَمَا رَبَّى شُيُوخًا حَادُوا * عَنْ مَنْهَجِ الرَّشَادِ ثُمَّ انْقَادُوا
قَدْ جَاءَ بِالتَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَهْ * مِنْ سُنَنٍ مُحْكَمَةٍ صَرِيحَهْ
هِمَّتُهُ تُنْهِضُ حَالَ مَنْ أَرَادْ * إِلَهَهُ فَاصْحَبْهُ إِنْ رُمْتَ الْمُرَادْ

إلى آخرها وهي طويلة .

شَمَائِلُهُ الْخُلُقِيَّةُ وَالْخَلْقِيَّةُ

أما الحياء وحسن المعاشرة مع الخلق في الصفح والعفو والسخاء والصبر والعدل والصمت والوقار والمحبة والأمانة والعبادة والوفاء والشفقة وحسن الخلق مع كل مخلوق لله

تعالى ، والاستنان بسنة خير البرية وسر الحكمة ، فلا يجاري فيها ولا يضاهى ، بل هو قطب محرابها ومفتاح أبوابها .

وأما حسن منظره وصفاء ظاهره فيغني عن مخبره ، فكما حاز ظاهره الجمال الإلهي ، كذلك حاز باطنه الكمال الذاتي ، لا حرمنا الله لذة مشاهدته ومجالسته في الحس والمعنى ، ومن نوره وجماله وطلاقة وجهه يقتبس البدر المنير في الليل الداج . وله رضي الله عنه في حسن المعاملة مع الخلق وإعطاء كل ذي حق حقه ، وكل ذي حظ حظه ، والتخلق بأخلاق ربه الباري الكريم ، المعطي الهادي الرءوف الرحيم ما يبهر عقول الحاذقين وهو رضي الله عنه حافظ لشروط الآخرة في القرب والبعاد ، وراع لحقوق الوداد ، وقد بلغ الغاية في التضرع والخضوع والزهد وتقوى الله في السر والجهر وعدم معاملته لغير الله ، وحسن الظن بالله وتفويض الأمور إليه حتى شهد له بذلك الخاص والعام ، والقريب والبعيد ، وقد خصه الله تبارك وتعالى في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بمقام لم يدرك ولا يرام . وفي ذلك يقول أعجوبة الزمان المشار إليه بالبنان العلامة القاضي محمد بن عبد الله بن مصطفى العلوي

جَزَى ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَيْرًا عَنِ ٱلْأُلَى * لَهُم من عَلَى نسبه ٱلْأَصْل وَٱلْعُلَا

تَرَاهُمْ يُقِيمُونَ ٱلزَّمَانَ بِدَارِهِ * وَيعلون في تلْكَ ٱلْإِقَامَة منزلا

فَلَا ظَمْأً يَخْشَوْنَ ثَمَّ وَلَا طَوَى * وَلَا ضَجر يَخْشَوْنَ منهُ وَلَا قِلَا

وَلَا ذِلَّةً يَخْشَوْنَ أَيْضاً وَلَا ازْدِرَا * وَلَا خَيْبَةً يَخْشَوْنَ أَيْضاً وَلَا وَلَا

إلى أن قال :

عَلَيْه مِنَ ايَاتِ الخِلَافَةِ آيَةٌ ✹ مِنَ اللّٰهِ لا تَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلَا
عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنَ اللّٰهِ سَاطِعٌ ✹ أَبَى اللّٰهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ وَيَكْمُلَا
تَضَلَّعَ مِنْ عَبْدَيْنِ* لِلّٰهِ دَرُّهُ ✹ وَدَرُّهُمَا لِلّٰهِ نَهْلًا وَمَنْهَلَا
فَفِى فَيْضَةِ الْعِرْفَانِ شَابَهَ آخِرًا ✹ وَنَافِعِ عِلْمٍ فِيهِ شَابَهَ أَوَّلَا

سَخَاؤُهُ وَكَرَمُهُ

وأمّا سَخَاؤُهُ رضي الله عنه وإحسانه وفيضان عطاياه الجمّة ومواهبه الربّانية وجوده وكرمه كالبحر والصّيّب الثجّاج . فيترك حاتماً نسيا منسيا، لازالت مطارف شكره تنشر، ومآثره تتلى وتذكر .

إِنْتِقَالُهُ بِالْقَصْرِ الْجَدِيدِ وَبِنَاؤُهُ زَاوِيَةَ أَهْلِ الذِّكْرِ

وكان سكناه أول أمره فى دار والده بكولخ ، وحين أيده الله بنصر من عنده وجعل الناس يأتونه من بلاد شتّى ، وأعطاه الله تعالى ما لم يعط من قبله من قومه ، وضاقت به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بارك الله فيهم، بنى قصرا خارج كولخ يسمّى بـ"مدينة الجديد ، مسكن القطب الفريد"، وبنى بها زاوية أسست يوم الاثنين المبارك لأربعة عشر بقيت من ذى القعدة الحرام فى سنة ١٣٤٩هـ [١٩٢٩م]، وأتمّها فى مدة قليلة لم تجر

✹ يعنى بالأول الشيخ الحاج عبد الله والد الشيخ رضي الله عنهما ، والثانى الشيخ عبد الله بن الحاج العلوى رضي الله عنه والد سيدى محمد المشرى رحمه الله .

العادةُ في صُنع مثلها على تلك المدّة ، ولكن صاحبها كان لله وكان الله له وكفى ، وهي معمورة ★ بالخمس وقراءة الوظيفة ، وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وفي جميع الأوقات سرّاً وجهراً ، ومشهورة عند الناس بزاوية أهل الذكر . وفي الثناء على المدينة والزّاوية يقول القاضي المذكور :-

أمَسْجِدَ إبْرَاهِيمَ أُسِّسْتَ بِالتَّقْوَىٰ ✻ وَأَرْضُكَ لَا تَأْثِيمَ فِيهَا وَلَا لَغْوَا

لِصَحْبِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِيكِ تَحَلُّقٌ ✻ تَنَالُ مِنَ الْعَلْيَا بِهِ الرُّتْبَةَ الْقُصْوَىٰ

وَلِلدِّينِ نَشْرٌ لَا يَزَالُ بِطَيِّهَا ✻ وَلِلشَّيْءِ حَظٌّ فِي الَّذِي فِي اسْمِهِ يُطْوَىٰ

وَيُؤْخَذُ مِنْهَا فِي الْبَدِيهَةِ أَنَّهَا ✻ لَمِنْهَا يُرَى لِلدِّينِ فِي الْوَسَطِ الْمَأْوَىٰ

وقد صرفتُ العِنان يائساً عن درك عشير العشر من كمالاته ومناقبه ومآثره وكرم أخلاقه ، ولكنه من وقف على فوائده التي لمعت ، وغرائب فوائده التي اجتمعت ، رأت عينه من آثاره ما يشعر بتقديمه وإيثاره وأنا على ذلك من الشاهدين .

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا ✻ قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

★ وهذه الزاوية هي التي تحوّلت بهمّة الشيخ رضي الله عنه إلى المسجد الجامع بكولخ في عام ١٩٣٦م واكتمل بناؤه في مدّة قياسية جدّاً ، ثم فكّر الشيخ رضي الله عنه في توسعته ليتّسع لعشرات الآلاف من المصلّين فتمّ وضع حجر أساس التوسعة عام ١٩٥٨م وقطع العمل فيه أشواطاً متقدمة ، إلى أن تمّت توسعته من جديد على يد الخليفة الشيخ الحاج عبد الله ابراهيم انياس المشرف العام والمسئول التنفيذي لهذا المشروع لتلبية حاجة الجماهير المتزايدة ، وهو الذي يجري العمل فيه الآن وفي مراحله النهائية، ليواصل الجامع الأبراهيمي في أداء رسالته كمركز إشعاع إسلامي متكامل كما أراد له الشيخ رضي الله عنه تؤمّه الوفود من كلّ فجّ عميق من شتّى أنحاء العالم ..

نَسَبُهُ لِأَبِيهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ

وأَمَّا أَبُوهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فهو حُجَّةُ ٱلْإِسْلَامِ وَمِصْبَاحُ ٱلظَّلَامِ، حَامِي ٱلشَّرِيعَة ومحيي هذه الطريقة بعد خبو أنوارها، ورافع بنيانها ومنارها بعد هدم أساسها، القدوة الأروع، الآخذ بالأحوط السميدع، من جمع به ماتشتت وتفرّق، المولى في أكابر رجال هذه الطريقة المثلى الشيخ الأكبر والولي الكبير الأشهر، الصوفي السّني، شيخنا ومولانا الحاج عبد الله ابن السيّد محمّد، وهذا الشيخ محرّر جميع الفنون مابين الفروع والأصول لاسيما الكتاب والحديث، وقد وقفت على كتاب لصاحب الترجمة رضي الله عنه يقول: إن الوالد هذا قد فسّر القرآن لرجال ماينيف على مائة مرّة، وقد حجّ وزار وجاهد في الله أحسن مجاهدة، ونبّه عيون النائمين، ومن بركة هذا السيد الجليل أتانا كلّ خير وفضل وسعادة، فجزاه الله عنّا خيراً، ومناقبه وقوّته في الدين وزهده وورعه أكثر من أن تعدّ وتحصى، نفعنا الله به وجميع أولادنا النّفع الحقيقيّ، وأفاض علينا بركته ونفحاته إلى يوم الدين. آمين يارب العالمين.

نَسَبُهُ لِأُمِّهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا

وأما أمّه رضي الله عنها، فهي الدرّة اليتيمة الثمينة، والجوهرة النفيسة الصالحة، الناسكة الصادقة الفاضلة، النجيبة الواقفة بحقوق

الربوبية فى الحال والمقال ، ذات السيرة السنية والمآثر السنية والأعمال الصالحة والأفعال المرضية المشكورة ، ذات البركة الغزيرة والأنوار الساطعة ، الراسخة التمكين واليقين ، والآخذة بالحبل المتين مولاتنا عائشة بنت السيد ابراهيم . وهى مذ جعلها الله تحت يد والد هذا الشيخ إلى هلم جرّا ما زالت معنية برضاه ، مجتهدة فى البر له ، ولم تفعل قط ما يغضبه أو يسوءه ، أو ما يغير خاطره أو خاطر الاخوان والجيران ، وما رفعت صوتها فوق صوته وكانت تفعل معه كل الجميل ، وتسعى فى كل ما يرضيه ، ولم تخالفه فى شيء ما أصلاً ، ومتى أشار إليها امتثلت ، ولم تزل معاشرته هكذا حتى انتقل هو من هذه الدار الى المقر الأسنى راضيا عنها شاكرا لسعيها ، وقد شهد لها بذلك الخاصة والعامة والأحباب والأعداء

وقد اخبرنى من أثق بكلامه ، وهو السيد الأغر ، والعلامة العارف بالله الأكبر ، سيدى وأنيسى ابن الشيخ الحاج عبد الله أبوبكر ، بأن الوالدة هذه أخبرته مشافهة بأنها فى أول شهر من حمل هذا الشيخ رأت فى منامها كأنها واقفة على شيء وتحتها حب ، فإذا القمر قد انشق من جهة المشرق وسقط عليها وخافت على نفسها وفزعت جداً لأجل ذلك ؛ وفى صباح تلك الليلة أتت لوالد هذا الشيخ وقصت عليه الخبر فزجرها عنه فقال لها : دعى عنك ذلك فاسكتى عنه واكتميه

ولا تخاطبي أحداً في ذلك بعد★ . وقد أخبرته أيضا بأنها لما ولدته ناداها الوالد فقال لها : " ألكِ رجاء في ابنكِ هذا؟ قالت فقلت نعم ، فقال لها : "وما رجوتِ فيه ؟ قالت : أرجو فيه الخير وأنه يكون نجيباً وفاضلاً وباراً إن شاء الله . فقال لها الوالد : نعم وأنا عزمت على ذلك وعالم به إن طوّل الله عمره ومتّعنا ببقائه .

وقد أخبرني من أثق بكلامه بأنه سمع من فم والد هذا الشيخ مشافهة يقول في هذه الوالدة : بأنها لابد تلد من يرثه وراثة كاملة تامّة ، قال : وإلاّ فلا يمكن ذلك لأحد بعدُ ، لأن النساء اللاّتي سلفن ليس فيهنّ من هي أفضل منها .

مناقبها رضي الله عنها : وأمّا مناقبها وفضائلها وبرورها وإحسانها

★ وفي هذا المشهد الزاخر بالإشارات الربّانية والعلامات الحقّانية يقول سلالة الشيوخ ومعدن الرسوخ يوسف الطريقة التجانية وشاعر الفيضة الابراهيمية الشيخ الولي الكامل أحمد محمود المعروف بمنّ آبّ وكني بالشيخان بن الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي رضي الله عنهما :

فَحَدَّثَنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا ✳ أَرَادَ بِهِ الظُّهُورَ مِنَ الْبُطُونِ
بِهِ رَأَتْ امُّهُ قَمَراً تَدَلَّى ✳ فَكَانَ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْجَنِينِ
وَقِيلَ لَهَا اكْتُمِي رُؤْيَاكِ فِيهِ ✳ لَهُ سِرٌّ لِشَانِئِهِ بِشَيْنِ
بِهِ لِعَدُوِّهِ مَوْتٌ بِغَيْظٍ ✳ وَخِزْيٌ لِلْمُعَانِدِ عَنْ يَقِينِ

وحسن خلقها مع كل مخلوق لله تعالى فكلمات إلهية لا تنفد، ولا تفى بها وجوه الأوراق طول الأبد ، وهذا الذى قررنا هو ما سمح به الوقت لعدم الفراغ ، وجادت به القريحة خوفاً من التطويل ، واحترازاً ممّا تعيا به العقول ، مع أنما كتمنا بالنسبة إلى ما قررنا كنسبة قطرة ماء إلى البحر صونا للاسرار ، ولئلا تطّلع عليها الأجانب

وأسال الله تعالى متوسلاً بحضرة النبوّة والولاية ، وبالحرف المنفصل والمتصل أن ينفعنا وجميع أحبّائنا وإخواننا بهذا الشيخ نفعاً خاصّاً عاماً تالداً أبد الآباد ، وعادت علينا نفحاته وبركاته ، وأفاض علينا بحور فيوضاته وإمداداته آمين يارب العالمين

ووافق الفراغ من هذه النبذة ضحى يوم الأربعاء لاحدى عشرة بقيت من ذى الحجة الحرام عام ١٣٥٢ بمدينة كولخ عمرها الله وحرسها آمين .

وقيدها الفقير الى الله تعالى ، الراجى من المولى كمال الصفاء والارتقاء إلى درجات النجباء :

علي سيس ابن السيد الحسن بن عنزل ابن السيد ابراهيم

رضوان الله عنهم أجمعين

١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الناصر الهادي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

أما بعد:

فهذه ألفاظ مختصرة في رحلة العبد الحقير الفقير الى مولاه الكريم ابن الشيخ الحاج عبد الله ابراهيم، لا يزال في جمال مولاه يهيم سنة ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين، حيث لم أزد على وصف ما وقع من غير تأنق في العبارة، ولو تكلفت لجئت لكل عمل عملته بدليله من السنة، وما توفيقي إلا بالله.

ففي انتصاف رمضان قوي عزمي على السفر الى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج وحوز زيارة الوسيلة العظمى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم. فأول ما صنعت استيذان والدتي ومشاورة خاصة أخوتي وأهل مودتي، وكتبت وصيتي والاشهاد عليها وقضاء ديوني وتحصيل نفقة تكفي العيال من بعدي وتحصيل زاد مبلغ ودفع ما أمكن من الصدقات، واستيذان أرباب الدولة، ودفع ما علي من حقوق دولتهم، وصليت ركعتين يوم الخميس التاسع من شوال بالتاريخ صدره وقرأت في الأولى الفاتحة وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة والاخلاص، وإن وردت رواية أنهما بالفلق والناس، وسلمت وقرأت آية الكرسي وسورة لإيلاف قريش ودعوت بالدعاء الوارد وهو "اللهم بك

أَسْتَعِينُ وعلَيْكَ أَتَوَكَّلُ اَللّهُمَّ ذَلِّلْ لى صُعُوبَةَ أَمْرِى وَسَهِّلْ عَلَىَّ مَشَقَّةَ سَفَرِى وَارْزُقْنِى مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَطْلُبُ وَاصْرِفْ عَنِّى كُلَّ شَرٍّ، رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لى أَمْرِى ، اَللّهُمَّ إِنِّى أَسْتَحْفِظُكَ وَأَسْتَوْدِعُكَ نَفْسِى وَدِينِى وَأَهْلِى وَأَقَارِبِى وَكُلَّ مَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ آخِرَةٍ وَدُنْيَا ، فَاحْفَظْنَا أَجْمَعِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا كَرِيمُ " ، هذا بعد الفاتحة وصلاة الفاتح لما أغلق ، ونهضت من مجلسى وقلت : " اَللّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ وَبِكَ اعْتَصَمْتُ ، اَللّهُمَّ اكْفِنِى مَا أَهَمَّنِى وَمَا لَمْ أَهْتَمَّ لَهُ ، اَللّهُمَّ زَوِّدْنِى التَّقْوَىٰ وَاغْفِرْ لِى ذَنْبِى وَوَجِّهْنِى لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ " ، وودّعت أهلى وأقاربى وجيرانى وسألتهم الدّعاء ، ودعوت لهم بقولى : " أَسْتَوْدِعُكُمُ اللّهَ الَّذِى لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ " ، وطلبت الوصيّة من نجل والدى الولى الصالح والنّور الواضح الحاج أبى بكر بن الشيخ الحاج عبدالله ، ومن الصّنو الأنور والبدر المنير الأزهر العلاّمة الحاج محمد زينب بن الحاج عبد الله . وركبت على فرس لى وقلت : " بِسْمِ اللّهِ " وحين استويت على ظهره قلت : " سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ " الحمد لله ثلاث مرات الله أكبر ثلاث مرات ، " سُبْحَانَكَ اَللّهُمَّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، اَللّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ ، اَللّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا فِى سَفَرِنَا هَذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اَللّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِى السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِى الْأَهْلِ ، اَللّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ

السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال " ، ولاختلاف الروايات قلت أيضاً : " اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فى السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فى الأَهْلِ اللَّهُمَّ إنّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِى الأَهْلِ وَالْمَالِ " .

ولما وصلت إلى المحطة لركوب البابور إلى مدينة دكار وجدت هنالك جُلَّ أصحابى وأحبابى والمتعلّقين بى جاءُوا لِتَشْيِيعى ، وحصل جمع كثير لايعلم عددهم إلاّ جامعهم فودّعتهم وقلت : لا إله إلاّ الله ، وقالوا محمد رسول الله ثلاث مرّات ، وركبت البابور وقلت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية . ورافقنى لهذا السفر الميمون أخصّ أحبّائى المريد الصّادق والمحبّ الوامق العارف الربانى والغارف من السّرّ التجانى الحاج معبد بن السيد الشيخ أحمد بكار رحمه الله ، ومحلّ والدى العلامة الحاج الامين شقرا ابن أبى بكر رحمه الله ، وسار البابور بنا إلى دكار ونزلنا فيها وقت صلاة العصر ووجدنا الحاج عمر كن وجميع أحبابنا بدكار فى المحطة يرقبون قدومنا ، ونزلنا معهم إلى زاويته ولم نزل عنده فى كرامة وضيافة حسنة وتعظيم واحترام وقيام بكلّ ما يكسب راحتنا وأمننا فى إقامتنا وسفرنا ، وتلاقينا مع أرباب الدولة وقاموا بشأننا أتمّ قيام فوق المعتاد من قيامهم فى شئون الحجّاج

وهم مشكورون فى ذلك غاية الشكر . وفى يوم الاربعاء انتصاف شوال الموافق ثلاثين من دُجَنْبَر (ديسمبر) المسيحى ، دخلنا فى الباخرة المسماة بـ (كنادا) وقت الزوال وقرأنا هناك الآى المتقدّمة أعنى قوله تعالى :- ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ - الآية ، وودّعت نجل والدى خليفته فينا حقاً إمامنا الحاج أبابكر ، وبهجة بيتنا و زينته ومسرّتنا ومساءة أضدادنا العلم الأشهر الحاج محمّد زينب ، وبقية الإخوة والاحباب والتلامذة والمريدين وكلهم يَذْرِفُ دموعاً تزرى بدموع السحاب لمفارقتى فأبكانى بكاء الرجال وأنشد منى لسان الحال:

فلو قبل مبكاها بكيت ... البيتين . وبعد صلاة الظهر انتقلت الباخرة من مرساها وجرت بنا قاصدين الدار البيضاء بالمغرب الاقصى ، وورد عليّ دعاء وهو : « اَللَّهُمَّ لَكَ اَلْحَمْدُ ، ذَهَبْتُ عَنْ جَمِيعِ أَحِبَّائِى وَذَهَبُوا عَنِّي ، قَاصِداً إِلَيْكَ وَاَلْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ لَكَ اَللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ » ، وبقيت أتأنّس بالمصحف ولله الحمدُ ، وسرنا فى لطف من الله ما تحرك البابور ولاماد بنا ، ولعدم مؤالفة البحر وقع بنا شبه دوخة يوم الجمعة فرأيت رجالاً حسان الوجوه لم أعرف منهم إلاّ الشيخ التجانى رضي الله عنه ووالدى رحمه الله تعالى عليه ، فشبك أصابعه بأصابعى وقال : إقرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ - إلى آخر ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ فقرأت إلى حزب

﴿ وإذا اتّقوا ﴾ ، وقال "سمعتُ ما قال لك أخوك الحاج أبوبكر وأنا أذهب معك إلى الحجاز" قلت لعله قول الأخ المذكور لي يغلب على ظنّي أنّك إذا أهمّك أمر ستلقى والدنا رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ، ولم نزل بحمد الله نسير في صحّة وعافية ونعم من الله ضافية والبحر رهوٌ والجوّ صحوٌ إلى أن ألقت كذا مراسيها بلشبا لماش عاصمة إسبانيا بعد طلوع الشمس يوم السّبت الثامن عشر من الشهر ، ولم ننزل فيها لأنّا تعرّضنا للنزول فيها فقال لنا صاحب السفينة : إن أردتم النزول فلا يصحبكم من الدراهم ما يزيد على مائة فرنك لأنّ الغصب هنا كثير ، فتركنا النّزول بالكلية . وبعد صلاة الظهر زايلتها السفينة قاصدة نحو الدّار البيضاء ، وبعد صلاة الصّبح يوم الاثنين ألقينا بها المراسى في هناء وسرور وظللنا يوم الاثنين نتنزّه فيها وتلقّانا بعض الأحباب التجانيين وأكرمنا ، ومن جملة إكرامه لنا أن أرانا بُلْغَة* كانت لشيخنا خاتم الأولياء مولانا أبي العبّاس أحمد ابن محمد التجاني وخطوط يده ، لأنّ هذا السيد كما أخبرني به عن نفسه أبوه كان من أصحاب الشيخ الخاصّة ، وبالأسف لم أضبط اسمه ، وصلينا الظّهر في الجامع الذى بناه السلطان أبو عبد الله سيدنا محمد بالدار البيضاء وهو عديم الشكل في الجودة والاتقان والحسن والاتساع ، وعند صلاة المغرب سرنا إلى الزاوية التجانية ووجدنا فيها المقدم

---

* وهو النعل المغربي المعروف بالمراكشي ، والكلمة مغربية اللهجة

البركة العالم العلامة والنقّادة الفهّامة صادق المحبة فى الشيخ وأصحابه سيدى محمد بن علىّ السوسى، وصلينا المغرب وقرأنا معه الوظيفة إلى أن صلينا العشاء وصرنا نتذاكر فى العلم والطريقة إلى أن قال لى: صَدَقَ المقدَّمُ الولى الكبير سيدى الحسين الافرينى قال "إن السُّودَانَ مَعْدِنُ ٱلْوِلَايَةِ"، وقد قال لى سيدى أحمد سكيرج: "إِنَّكَ عَالِمُ السُّودَانِ". وبتنا فيها وعند صلاة الصّبح ركبنا فى السيارة قاصدين فاس، ووصلناها ظهيرة يوم الثلاثاء ونزلنا عند الشريف المنيف سيدى حدّو بوطالب أخى حبيبى سيّدى محمد بوطالب التّاجر بكولخ، وقاموا على ساق الجدّ فى اكرامنا فلم نزل عندهم فى كرامة وغبطة وسرور إلى أن حانت صلاة العصر سار معنا أخوه سيدى عبد العزيز بوطالب إلى زاوية الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر مولانا أبي العبّاس التجانى رضي الله عنه، وصلينا العصر بالزاوية المذكورة وزرنا القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم، وحين دخلت بليدة قلت:

لَقَدْ عَادَنِى إِذْ شِمْتُ دَارَ مَرَايَتِى ❀ عِمَادِى وَتَهْيَامِى لِجَالِى ٱلْعَمَايَةِ
حَبِيبِى أَبِى ٱلْعَبَّاسِ مَنْ عَمَّ فَيْضُهُ ❀ أَبِى ٱلْكَوْنِ وَٱلْأَسْرَارِ عَيْنِ ٱلْوِلَايَةِ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مِنْ خَدِيمٍ مُتَيَّمٍ ❀ وَمِنْ صَحْبِهِ وَٱلْكُلُّ تَحْتَ ٱلرِّعَايَةِ

وبهت حين دخلت الزاوية ووقع لى ماوصف الامام العارف الربّاني

سيدى محمد البوصيرى :

وَوَجَمْنَا مِنَ ٱلْمَهَابَةِ حَتَّى • لَا كَلَامٌ مِنَّا وَلَا إِيمَاءُ

إلا أنى بعد الوجوم قرأت السَّلام على القطب المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم قائلاً بتأدّب :

- السَّلَامُ عليك يا شيخنا أحمد التجانى يا خاتم الاولياء .
- السَّلَامُ عليك يا سرّ السّرّ وروح العارفين ومدد الكائنات .
- السَّلَامُ عليك يا سبط الرسول وخليفته فينا .
- السَّلَامُ عليك يا من هدى الله بك العباد ، وأصلح البلاد .

وهدى بك إلى سبيل الرشاد حتى ان فى كل أقطار البلاد من الآلاف ما يفوت الاعداد كلّهم مدمن الصّلاة على خير العباد .

- السَّلَامُ عليك منى ومن والدى وما ولد اومن أصحابى وأهلى وأولادى ومن تعلق بنا .

وذكرت اسم كلِّ مَنْ بينى وبينه نسبة وسأَلْتُ اللهَ متوسلا به وبخاتم أنبيائه وخاتم أوليائه بالرابطة التى بين الله ورسوله قبل ظهور الموجودات وبعدها لنفسي ولمن ذكرت بما أرجو إجابته .

وبعد الانصراف من زيارة الختم تلقّانا المقدم البركة بركة طريقتنا الشريف المنيف والعارف الكبير الغطريف سيّدى

ومولاي الطيّب بن محمد السفياني ، وتذاكرنا في محبّة الشيخ واخوان الطريقة وأسراره وكراماته بما فيه لنا ولأهل المجلس قوت الأرواح والأشباح. والأعيانُ الذين حضروا مجلسنا الطّيّبِ بالزاوية التجانية من أصحاب الشيخ المقدّمين: نجلُ المقدّم سيّدى الغالي ، وسيدى الحاج محمد براده حفيد الخليفة سيدى على حرازم ، وسيدى محمد بن عبد القادر العلمى ، وسيّدى محمد بن الطاهر العلوى ، والامام سيدى محمد بن العابد العراقى ، والفقيه سيدى الحسن قورو ، وسيدى محمد السقاط ، وسيّدى محمد عبد الله ، وسيدى محمد بن محمد الكتانى ناظر الزاوية ، وغيرهم ، وكلّهم ممتلئ فرحا وحبورا لما سمعوا من درر المعارف وما شهدوا من اللطائف وشدة المحبة فى الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه ، ولم يزل المقدم يقرّبنى ويبشّرنى كل يوم وليلة ، وفى ليلة الاربعاء طلب منّى أن أنزل بداره وأَبِيتُ عنده ولم تسمح بذلك نفس ربّ منزلنا الشريف سيدى حدّو بوطالب واستدعانا للضيافة فى الساعة الثامنة وساعدناه فى ذلك لما نرجو من البركة فى ذلك وأضافنا جازاه الله أحسن الجزاء بكلّ أنواع الكرامات ، وأتحفنى بسبحته وسجادته وشعرات الختم التجانى وقارورة كان يضع الشيخ فيها العطور عند الخلوة ، وأجازنى بكل ما عنده ، بل قال لى : أربعة من أصحاب الشيخ كلّهم أعطاه الشيخ جميع الاسرار والخواص والتصرّفات وكلّهم عنده من الشيخ ما ليس عند غيره ، أوّلهم : سيّدى الغالى بوطالب ،

والثاني مولاي محمد أبو نصر، والثالث : الحاج عبد الوهاب الأحمر، والرابع : جدي سيدي الطيب ، وكلهم قالوا إنهم جمعوا ما عندهم في الكنسوسي ، والسيد الكنسوسي قال إن ذلك كلاً دفعه لسيدي الحسين الإفريني ، والسيد الحسين الافريني قال ذلك للعبد الحقير والعبد الحقير ليس كأولئك ؛ فهم كلهم عارفون بالله ومقاماتهم عالية إلا أني أقول لك ما قال لي سيدي الحسين لأنك حبيب سيدنا وابن حبيبه ، هذا واعلم أن البركة كلها معك . وفي ذلك اليوم سافرت إلى مدينة صفرو لزيارة سيدي أحمد بن السائح باشا صفرو وكان قبل من أحباب والدي رحمه الله ورضي عنه ، واجتمعنا عنده ببعض علماء القرويين ، ورجعنا لفاس ، وفي الغد استدعانا باشا فاس سيدي محمد التازي وأكرمنا وجمعنا مجلسه برئيس القرويين سيدي محمد بن الطيب البدراوي عضو المجلس العلمي ، والسيد العربي الحريشي رقيب القرويين ، والفقيه السيد أحمد البلغيثي أحد أعيان العلماء بفاس ، وناظر مولاي ادريس السيد أحمد الرابي وتذاكرنا في العلم وسألوا عن أشياء وأجبتهم وفرحوا . ثم انصرفنا إلى الزاوية المباركة وبقينا فيها نتمتع بجمالها الحسي والمعنوي إلى أن ختمنا الوظيفة وصلينا العشاء .

ومدة إقامتنا في فاس نحو أسبوع عادتنا أن نصلي الصلوات الخمس

في الزاوية المباركة خلف إمامها الذي صلاته وحدها تربى من شدة اعتنائه بإتقانها، فقد كنت أعدّ إحدى وعشرين تسبيحة مرتلة قبل رفع رأسه، وكنت أقرأ الوظيفة معهم بعد المغرب، وإن كانت تقرأ بعد العصر أيضا، والوظيفة الكبرى بعد المغرب لأنه صحّ أن الشيخ ما قرئت الوظيفة في حياته إلا بعد المغرب، قال سيدى بلأمين أنّ من حلف أنها ما قرئت نهاراً في حياة الشيخ لم يحنث . وقد صلّيت الجمعة في جامع القرويين مع الامام، وخطب خطبة حسنة في برّ الوالدين افتتحها بقوله: الحمد لله الذى ارشدنا إلى سبل الخيرات، وأعلمنا على لسان نبيّه أنّ الجنّة تحت أقدام الأمهات الخ.. وودّعنا المقدم البركة ومن في الزاوية من الأحباب وكلهم دعا لنا بالخير والسلامة وأوصانا واستوصانا بالدعاء عند المواطن الشريفة المقدّسة، ثم دنونا إلى الضريح الشريف الأقدس والمقام المنيف الأنفس لوداع سرّ السرّ وعين العين، وذكرت عنده الحوائج الصغيرة والكبيرة وذكرت جميع من مضى لى ذكرهم،

وأُشْهِدُ اللّٰهَ ورسُولَهُ والشَّيْخَ أَنَّ عقيدتى التى أتعبّد بها وأطلب من الله أن ألقاه عليها : "إِنِّى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَاحِدٌ فى الْأُلُوهِيَّةِ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ أَصْلاً ، وَأَوْجَدَ رَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً قَبْلَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ إِيجَاداً مِنْهُ بِلَا وَاسِطَةِ مَخْلُوقٍ وَجَعَلَهُ أَصْلَ الْكَائِنَاتِ وَوَسِيلَتَهُمْ وَالسَّبَبَ فِي وُجُودِهِمْ ، وَأَوْجَدَ شَيْخَنَا وَجَعَلَهُ

وجعله وَاسِطَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ بحَيْثُ لَا مَطْمَعَ لَنَا فِيمَا مِنَ اللّــهِ إلاّ بِوَاسِطَةِ رَسُولِه ﷺ ، وَهُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَـهُ ﷺ فَلا مَطْمَعَ لَنَا فِى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْ هَـٰذَا". ودعونا اللّه عنده وفاضت العينان بالدّموع وغلبنى البكاء حتّى دهشت ، فصار أهل الزاويـة يزدحمون علىّ ويمسحون المدامع ويتبركون بها فلله درّ أصحاب الشيخ رضى الله عنه وعنهم . وذهبت من عنده فى ضمان ذهاباً وإياباً . ولما خرجت من الزاوية وجدت بغلةً مُسْرَجَةً بعثها الى الشّريف سيّدى عبد العزيز بوطالب يتلقّانى بها لأركبها إلى المحطّة ، وركبنا فى البابور البرّى يقولون له القطار ـ وهى لغة مولّدة ـ قاصدين طنجة ، والمراحل بين فاس وطنجه طويناها ليلاً ، وصبيحة الاثنين نزلنا بمحطة طنجة فاذا المقدّم سيدى محمـد العرفاوى ، والفقيـه سيدى محمّـد المهدى ، وجماعة معهم واقفون عند المحطة ينتظروننا بأمر من المقدّم سيدى الطيّب السفيانى فلم أشعر حتى دخلوا علىّ فقالوا : أنت فلان ، قلت نعم فحملوا المتاع ومرّوا بالديوانة وخلصوا جميع متاعنا فى هنيئة وساروا معنا إلى الزاوية المباركة وأنزلونا فى غرفتها وقاموا بواجب إكرامنا فى غاية الفرح حتى صلينا الظهر مشى بنا السيّد الحاج على المصطفوى إلى منزله الجميل الرحب ، وهذا الرجل هو قاطن الزاوية التى بطنجة وهو من أكابر الاغنياء وصنع لنا مأدبة جمع فيها جميع الألوان التى فى المغرب ، وبعد الانصراف من تناول الطعام وصلاة العصر فى زاويته

المخصوصة التى فى داره مشى بنا إلى أرباب السفينة وبدلنا الاوراق التى قطعناها من فاس ورجعنا إلى الزاوية . وفى ليلة الأربعاء استدعانا القائد عبد السلام السعيدى وصنع لنا مأدبة تزرى بكل ماقبلها وهو رجل بحّاث عن أسرار الطريقة حتى اجتمع عنده من أسرار الطريقة مالم يكد يجتمع عند أحدٍ ، وأبرز لى الجميع طالبا الاذن فى جميعها فأذنت له فى البعض وأتحفته ببعض مالم يكن عنده من درر الأسرار وأتانا ضحوة يوم الاربعاء للزيارة وصار يسأل ويطلب منا الدعاء لنفسه ولاخوانه وأهل بلده فحصلت ساعة سعيدة مباركة ، وأريتهم "جواهر المعانى" بخط الحاج على حرازم براده وشعرات الشيخ رضي الله عنه فقال : (نَحْنُ مَعَاشِرَ أَهْلِ طَنْجَةَ يَجِبُ عَلَيْنَا اَلْحَمْدُ وَالشُّكْرُ حَيْثُ أَكْرَمَنَا اللهُ بِنُزُولِ خَلِيفَةٍ مِنْ خُلَفَاءِ الشَّيْخِ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا) ، وذكر أنهم كان يأتيهم الصالحون ، وفى هذه المدة انقطع ذلك وقال لى أتعرف رجلاً يقال الحاج عبدالله انياس من وصفه كيت وكيت ، قلت بلى . قال وأين هو ، قلت سار إلى رحمة الله ، قال أتعرفه حقاً ، قلت نعم هو أبى ، فتم له الفرح ، قال كان حبيبا لى ، قلت أنتم جعلكم الله برزخا بين الشيخ التجانى رضي الله عنه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين انصرف الأحباب خلا بى المقدم وقال لى : "إنى منذ نزلت أريد أن آخذ عنك وأطلب منك بعض ماينفعنى من أوراد الشيخ رضي الله عنه واستخرت الله مراراً واليوم أتانى آت بين النوم واليقظة وقال لى : سر إلى فلان هو عنده المفتاح"،

وشافهته ببعض الأسرار وكذا القائد عبد السلام وسيدى الحاج محمد ، وقد
زارنا من الأحباب هنالك جمّ غفير، منهم سيّدى علال بوكساكنى، والفقيه
سيدى محمد محيى الدين ، ورحنا معهم بعد صلاة العصر الى السفينة
الانجليزية المسماة بـ (هُولْت) وهى صاحبة المدخنة الزرقاء ، وهى بابور
صغير مليح مستعدّ لنقل الحجّاج كل سنة من مرسى طنجة إلى جده، وعيّنوا
لها ذبّاحين وطبّاخين من المسلمين وهيّئوا فيها محلاًّ لاجتماع الحجّاج
للصلوات الخمس وقراءة الوظيفة والحزب ، ولهم مؤذّن يؤذّن ، والماء
مهيّئ باردا وسخينا ، فالحاصل أنّ الحاج إذا كان فيها فكأنّه فى داره
وإن لم تكن فى الحسن والجمال كسفن فرنسا فدونها بمراتب ، وركوبنا
فيها قبيل الغروب ليلة الخميس لليلة بقيت من شوّال فقلت : بسم
الله مجراها ومرساها ، وسخّر الله لنا هذا البحر العظيم ذا الخطر الجسيم
فلا ميد ولا تهويم ،وتبدّت طنجة فى شكل من الحسن عجب فكأن
مصابيحها فى الظلام شهب ، ولم نزايلها إلاّ بعد العشاء ، ولم تزل
تشقّ بنا حَبَاب الماء حتى انكشف عن الصبح الغشاء وتراءت لنا
الاسكندرية عشيّة يوم الثلاثاء ، وبعد هنيئة تراءى لنا من بعيدٍ قصر
بورت سعيد ووصلنا إليها مع غروب الشّمس ليلة الاربعاء، وصرنا نودّع
الإخوان من الحجّاج الذين ينزلون فيها بقصد زيارة مصر وحبستنا
الأقدار لاالهية عن زيارتها مع من زاروا بالأسف ، لولا أن نزولنا عمّا

قريب بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وبعد تفتيش الطبيب وطبعهم للجوازات للنازلين، ونزلوا وجرت بنا إلى السويس وعند طلوع الشمس رأينا صفيرة السويس المسماة بكنال السويس فصارت السفينة تمشى رويدا، وظللنا ذلك اليوم نتنزه بالنظر إلى البرارى والأشجار والتلول والجبال وذلك احسن شئ فى أعيننا لطول العهد به، وعند غروب الشمس وصلنا إلى السويس، وعند انتصاف الليل ليلة الخميس جرت بنا قاصدة شطّ جُدّة، وعشية الجمعة ونحن معشر التّجانيين فى أثناء ذكر الهَيْلَلَة صوّتت بنا السفينة معلنة بالوصول إلى " رابغ الجحفة " ليحرم من قصده مكّه المكرمة - زادها الله شرفاً وتكريماً، فأحرم من الحجّاج ثلاثة نفر، والباقون قاصدون مدينة الرسول ﷺ. وكانوا - أى حجّاج السفينة - مائتين وستا وستّين، وعند أداء فريضة الصّبح يوم السبت تراءت لنا جدّة فتهيأنا للنّزول، وعند ارتفاع الشمس تعرّضت لنا السنابك وتوصلنا بها إلى ميناء جدّة، ونزلنا ووجدنا رجال الحكومة السعودية فسألَنَا الرئيسُ أنتم من أين، قلت من سنغال، قال تعالَ يا عبدالله، فأتانى عبد الله البحيرى وكيل المطوّفين فذهب بنا إلى مفتّش الجوازات وهو واقف قريب منهم، وأخذ منا الجوازات فذهب بنا إلى محل الديوانة المسماة عندهم بالجمرك وخلصنا وقال

سيروا إلى المنزل ، فما وصلنا المنزل حتى أتى جميع متاعنا الى المنزل ، وأقمنا عنده السبت ، وفي يوم الأحد عشيّةً لإحدى عشرة خلت من ذي القعدة ركبنا إلى طيبة الغرّاء مدينة الرّسول ﷺ ودار الهجرة ومنبع العلوم والمعارف والدّين والصّلاح ، وسارت بنا السيارة عند غروب الشّمس ليلة الاثنين ، وقطعنا مرحلتين ونزلنا وصلّينا العشاءين وتعشّينا وسرنا الى انتصاف اللّيل وبتنا في منزل يسمّى "رابغ"، والمنزلتان قبله " ذهبان" و" تول" ، وعند صلاة الصّبح إرتحلنا ولم تزل السيارة تجري بنا لا تلوي على أحدٍ حتى قطعنا مرحلتين ونزلنا لتناول الطّعام ، وارتحلنا حتى وصلنا ذا الحليفة المسمّى اليوم بـ" بئر عَلِي" كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، ونزلنا واغتسلنا بنيّة دخول مدينة الرّسول ﷺ وصلّينا الركعتين وصلينا العصر ووصلنا إلى المدينة بعد العصر ودخلنا الحرم الشّريف ، وفي ذلك أقول :

لَقَدْ عَادَنِي الشَّوْقُ الْمُبَرِّحُ إِذْ دَنَا ❀ مَزَارُ حَبِيبِ اللهِ وَالْجِسْمُ أَعْلَنَا

مَزَارُ أَمِينِ اللهِ مَرْكَزِ سِرِّهِ ❀ عَلَيْكَ سَلَامٌ بِالتَّأَدُّبِ مُقْرِنَا

مَزَارٌ لَنَا مِنْهُ الْعُلُومُ تَفَجَّرَتْ ❀ وَجِبْرِيلُ فِيهِ خَادِمٌ فَلَهُ الْهَنَا

وَقَى اللهُ "زَرْقَاءَ الدُّخَانِ" كَمَا وَقَى ❀ "كَنَادَا" بِوَصْلِي لِلْحَبِيبِ الْعَلِيِّ السَّنَا

ثم قلت منشئا :-

أَتَاكَ رَسُولَ اللهِ زَوْرٌ مُعَفَّرًا ❀ خُدَيْدًا الَّذِي أَعْتَابِ بَابِكَ مُعْسِرَا

وَيَطْلُبُ مِنْكَ الْبَسْطَ وَالْفَيْضَ وَالْجَدَى ❁ أَتَاكَ مُحِبًّا فِي الْحُقُوقِ مُقَصِّرَا

وفي تلك المسافة بحمد الله لم نشتغل إلا بالصلاة على النبي ﷺ وقرأت الأمداح وخصوصا أمداح الامام البوصيري التي جلّها من حفظي ، ولما رأينا القبة الخضراء وقربنا أمرت سائس السيارة بإيقافها للنزول ونمشي على أقدامنا ، فأوقفها ونزلنا نمشي بسكينة ووقار وذلّ وانكسار وابتهال وتضرّع بالتوبة والاستغفار والدعاء حتّى وصلنا باب المدينة المنوّرة ، ووجدنا المُنْزِلِين واقفين يتعرّضون للضّيف فسألت عن أحمد الزناري منزل السنغاليين فتلقّاني ابنه عبد الرحمن ومشى معنا وقال: تمشون إلى الدار ثمّ إلى الحرم النبوي ، قلت لا ، بل نمشي للحرم قبل كلّ شيء ، فدخلنا الحرم النبوي من "باب السلام" ووصلنا إلى الرّوضة وصلينا تحية المسجد في محراب النبيّ ﷺ ومشينا إلى زيارة النّبي ﷺ حتى وقفنا أمام القبر الشريف عند" باب المواجهة" وهي صفحة الفضة وفيها كوّة تقابل وجهه ﷺ وعملنا بمقتضى آية ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ.. ﴾ وإن كانت منسوخة لانها إنما نسخ وجوبها ، فقرأنا السلام واقفين متأدّبين خاشعين خاضين غاضين الطرف تارة وتارة نتمتّع بالنّظر فقلنا :

- السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله تعالى وبركاته ، مائة مرّة

ثم السلام على الخليفتين ولباقي الخلفاء استحضاراً وباقي الصّحابة وآل البيت ، ثم قلنا ماقال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ، وصلّينا على النّبيّ ﷺ سبعين مرّة ، ودعونا لأنفسنا ولوالدينا وإخواننا والمتعلّقين بنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وورد عليّ هنالك أدعية نظما ونثرا ، والنثر لا أضبطه ، ومن النّظم :-

يَا رَبَّنَا بِالْمُصْطَفَى وَالآلِ ۞ وَبِالْعَتِيقِ النَّدْبِ ذِي الْخِلَالِ ۞ وَبِأَبِي حَفْصٍ عَلِيِّ الشَّانِ

الْمُظْهِرِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ۞ وَمَاحَوَتْهُ الْحُجْرَةُ الشَّرِيفَهْ ۞ وَالرَّوْضَةُ الزَّاهِرَةُ الْمُنِيفَهْ

وَالْمِنْبَرِ الشَّرِيفِ وَالْمِحْرَابِ ۞ وَالْقُبَّةِ الْخَضْرَا وَبِالْأَبْوَابِ ۞ وَالْأُسْطُوَانَاتِ وَبِالْقِبَابِ

وَبِالْوُفُودِ الْغُرِّ وَالْأَحْزَابِ ۞ وَمَاتُلِي فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ۞ مِنْ سُنَنٍ أَوْ كَانَ مِنْ صُفُوفِ

وَالْقَائِمِينَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ مِنِ ابْتِدَا وَآخِرِ الْوُجُودِ ۞ وَبِالْمَنَارَاتِ وَبِالسُّطُورِ

وَبِالْجَمَالِ الْأَحْمَدِي الْمَنْشُورِ ۞ وَبِالْبَقِيعِ وَبِعُثْمَانَ الْعَلِي ۞ وَبِأَبِي الْحَسَنِ لَيْثِهِ عَلِي

وَأُحُدٍ وَشُهَدَاءِ أُحُدِهْ ۞ وَآلِ بَيْتٍ رَاكِعِينَ سُجَّدِ ۞ وَبِالْمَسَاجِدِ وَبِالْآبَارِ

وَبِالْمَشَاهِدِ وَبِالْآثَارِ ۞ فَصَلِّيَنْ عَلَى الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ۞ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمِ

وَأَعْطِ ذَا الْعُبَيْدَ مَا يَرُومُ ۞ بَلْ أَعْطِيَنْهُ فَوْقَ مَا يَسُومُ ۞ وَاغْفِرْ لَهُ رَبِّ وَوَالِدَيْهِ

وَنَسْلِهِ وَمَنْ نَمِي إِلَيْهِ ۞ وَجَازِ إِخْوَتِي وَأُمَّهَاتِي ۞ خَيْرَ الْجَزَاءِ ثُمَّ صَاحِبَاتِي

وَلْتَقْبَلَنَّ سَعْيَهُ وَلْتَغْفِرَا ۞ لِلْمُسْلِمِينَ أَسْوَدًا وَأَحْمَرَا ۞ وَدَمِّرَنْ أَعْدَاءَ دِينِكَ الْحَنِيفْ

فِي كُلِّ أَقْطَارِ الْبِلَادِ يَا لَطِيفْ ❀ وَلْتُعْلِيَنْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامْ ❀ أَلِّفْ قُلُوبَ أَهْلِهِ الْأَعْلَامْ

وَمَكِّنَنَّهُ مِنَ الْبِلَادِ ❀ وَلْتَهْدِنَا لِمَنْهَجِ الرَّشَادِ ❀ وَشَيِّدَنْ بِالْعَبْدِ جَامِعًا مُنِيفْ

وَلْتَعْمُرَنْهُ بِالرِّجَالِ يَا لَطِيفْ ❀ وَلْتَعْمُرَنْهُ بِالصَّلَاةِ الْقَائِمَهْ ❀ بِلَا حُدُوثِ مُحْدَثَاتٍ قَامِمَهْ

وَارْزُقْ لَنَا مَدْرَسَةً مُنِيفَهْ ❀ مَعْمُورَةً بِالْأُمَّةِ الْحَنِيفَهْ ❀ يَا رَبِّ وَالْطُفْ وَاسْتُرِ الْعُبَيْدَا

وَلْتَهْدِهِ وَاهْدِ بِهِ الْعَبِيدَا ❀ وَاغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ إِلَيْهِ أَحْسَنَا ❀ وَجَازِهِ عَنْهُ الْجَزَاءَ الْأَحْسَنَا

أَصْلِحْ لَهُ الْأَزْوَاجَ وَالسَّرَارِي ❀ وَكُلَّ خَادِمٍ لَهُ وَقَارِي ❀ وَحَقِّقِ الْعُلُومَ وَالْعِرْفَانَا

وَمَكِّنِ الْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَا ❀ وَنَجِّنَا الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَّاءَ ❀ وَلْتُعْطِنَا الْآلَاءَ وَالنَّعْمَاءَ

وَهَبْ لَنَا وُصُولَ بَيْتِكَ الْحَرَامْ ❀ وَلْتَقْبَلَنْ سَعْيِي سَيِّدَ الْأَنَامْ ❀ وَهَبْ لَنَا الرُّجُوعَ سَالِمِينَ

لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَغَانِمِينَ ❀ ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَبَدِي ❀ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدِ

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَعْلَامْ ❀ مَنْ دَوَّخُوا الْبِلَادَ بِالْإِسْلَامْ

وكنّا نزور الحجرة الشريفة دبر كلّ صلاة مكتوبة والحمد لله بالصفة التي ذكرناها، وإذا انصرفنا عن الزيارة نجلس مع الأخوات في مجلس أهل الصّفّة في المواجهة الشريفة، وإذا غربت الشّمس نمشي للروضة الشريفة للصّلاة فيها بحيث نسمع قراءة الامام، وإذا كان وقت السحر ندخل من باب جبريل ونصلّي ما شاء الله في الروضة ونجلس فيها حتى نصلّي الصبح ونقرأ الورد اللاّزم ونصل الزيارة بالورد اللاّزم ونتمّ أورادنا عند مجلس أهل الصّفّة، وإذا حلّت النّافلة صلينا وانصرفنا إلى المنزل للفطور ونرجع إلى الحرم إمّا إلى الرّوضة أو إلى محلّ أهل الصّفّة.

وأقمنا بالمدينة المنورة بفضل الله ومنّته احدى وعشرين يوما بيوم الدخول والخروج ، ورمزت لذلك بقولي :

بَطِيِّبِ يَوْمٍ قد أقَمْنَا بِطَيْبَةٍ ﷺ أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحُ

ولا نخرج من الحرم النبوي غالبا الا لتناول الطعام بعد الظهر أوحاجة ضرورية مثل ذلك أو زيارة بعض المزارات كجبل أحد، وسيدنا حمزة، وشهداء أحد ، ومحل كسر رباعية النبي ﷺ والبقيع وقد أتيناه مراراً ، وتشرّفنا بزيارة ثالث الخلفاء، وأبي سعيد الخدري، وفاطمة بنت أسد ، وحليمة السعدية، وإبراهيم بن النبي ﷺ ، ومررنا بضريح إمامنا وإمام الأئمة مالك بن أنس، ونافع شيخه ، وأزواج النبيّ ﷺ التسع عائشة وصواحباتها ، وبناته ﷺ رقية وزينب وأم كلثوم ، وعمّه العباس ، والحسن، والبتول أمه ، ويقال إنّ بدَن عليّ نقله الحسين إلى البقيع، فاستحضرنا ذلك ، ورأس الحسين أيضا على قول، وعماته ﷺ، ثم الشهداء الذين جرحوا بأحد وماتوا بالمدينة، زرناهم وأرجلهم إلى القبلة . وذهبنا إلى مسجد قباء يوم السّبت مرتين عملا بحديث ﴿مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ وَأَتَى قُبَاءَ وَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ تَامَّةٍ﴾ أو كما قال ﷺ ، وفيها رأينا طاقة الكشف التي انكشفت له منها الكعبة حين أراد تحويل القبلة ، ومبرك النّاقة ، ومحلّ نزول الآية ، كلّ ذلك معلّم ، وزرنا بئر الخاتم وهي بئر أريس التي فيها خاتمه ﷺ

من يد عثمان، وهي التي جلس عليها ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان، وشربنا من مائه العذب، وإن كان أهل المدينة كلّا لا يشربون إلّا منها وبقية آباره ﷺ السّبعة التي نظمها بعضهم :

أَرِيسٌ[١] وغَرسٌ*[٢] رُوْمَةٌ[٣] وبُضَاعَةٌ[٤] كذا بَصَّةٌ[٥] قل بئرُ حَاءٍ[٦] مع العِهْنِ[٧]

وزرنا مسجد "الغمامة" والمساجد الخمس التي في الخندق : مسجد علي، ومسجد عمر، ومسجد أبي بكر، ومسجد سلمان، ومسجده ﷺ وهي مساجد الفتح، وزرنا مسجد القبلتين، وفيه أثر المحرابين؛ محراب إلى بيت المقدس، كما أن المسجد النبوي فيه علامة المحراب الذي كان إلى بيت المقدس. أمّا المسجد النّبوي فيكلّ القلم عن وصفه، متّسع بارك الله فيه مزخرف مكتوب في جميع أركانه آيات وأحاديث نبويّه وسور، مكتوب على جهة القبله سطر فيه آل عمران، وسطر فيه براءة، وسطر فيه أسماؤه ﷺ وسطر فيه سورة الفتح بماء الذهب، والقباب قرأتُ فيها سورة الجمعة والغاشيه والمنافقون والاخلاص وسورة النصر، ولا ترى قبّة من القباب المسقّف بها إلّا وفيها سورة من القرآن، والبردة مكتوبة في جدران محل النساء والمحراب الذي كان هو مصلّى النبي ﷺ مكتوب عليه فوقُ : هذا محراب رسول الله ﷺ، وعلى الأيسر ﴿الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ﴾، ومكتوب فوق الباب على يمينه ﴿الإِيمَانُ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ

---

* وهي البئر التي غُسّل الرّسول ﷺ من مائها، ومنه الحديث (غَرْسٌ من عيُون الجنّة) (القاموس المحيط)

كما تأرز الحية إلى جحرها ﴾، وعلى الأيسر: ﴿ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ﴾ ومكتوب ذلك على ركن من أركان الحجرة الشريفة، وتليه أسطوانة الحرس، واسطوانة الوفود، وفي الصف الثاني أسطوانة أبي لبابة، ثم أسطوانة عائشة.

وتعرفنا برجال صلحاء وأولهم صاحبي حقاً علي بن عبد الله الطيب، وقدمته في الطريقة التجانية وأعطيته بعض أسرارها، وهو وحيد عصره وفريد دهره في العلم من حفدة الامام الشافعي، وقدمت أحمد المختار بن بيلا أيضا. وقد ورد على يوم الجمعة سلطان كنو* المسمى بعبد الله بن عباس بايرو، ووزيره العلامة سليمان بن اسماعيل، وطلبا مني التجديد والتقديم فساعدتهما بإشارة من تلميذي الصادق علي الطيب المذكور. وتعرفت بأجلاء أهل الطريقة، وجددت لهم الطريقة، وقدمت أيضا أبا القاسم بن ابراهيم من أهل "جنين" من سودان مصر. بعض أشعارنا في الحرم النبوي :-

سَلَامٌ عَلَى قَبْرٍ حَبَاهُ إِلَهُنَا ۞ بِتَضْمِينِ أَعْضَاءِ الْحَبِيبِ الْمُعَظَّمِ
سَلَامٌ عَلَى جُزْءٍ تَضَمَّنَ كُلَّهُ ۞ بِتَخْصِيصِ رَبٍّ جَادَ لِي بِالتَّكَرُّمِ
فَمَا كُنْتُ أَرْجُو طُولَ دَهْرِي وَجَدْتُهُ ۞ بِتَفْضِيلِ رَبٍّ وَاهِبٍ فِي تَكَرُّمِ
صَلَاةٌ عَلَى يَاسِينَ طَهَ مُحَمَّدٍ ۞ وَأَصْحَابِهِ أُولِي النَّدَى وَالتَّرَحُّمِ اهـ

---

*من كبريات الولايات الاسلامية في شمال نيجيريا

ولنا فيه :-

أَرَانِي قَدْ أَطْلَقْتُ طَرْفِي تَعَمُّدَا ۞ إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَا بِحُجْرَةِ أَحْمَدَا

فَلِلَّهِ مَا أَغْلَى وَأَعْلَى مَنَارَةً ۞ تُظَلِّلُ شَمْسَ الْعَارِفِينَ مُحَمَّدَا

وَلِلَّه مَا أَعْلَى الْمَدِينَةَ إِنَّهَا ۞ مَقَرُّ حَبِيبٍ فَاقَ مَجْدًا وَسُؤْدَدَا

وَفِيكِ أَبُو حَفْصٍ السِّرَاجُ إِمَامُنَا ۞ وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ وَالْفَيْضِ وَالْجَدَى

وَفِيكِ قَرَارُ الْآلِ وَالصَّحْبِ سَادَةٍ ۞ وَسَبْعُونَ أَلْفًا لَا حِسَابَ لَهُمْ غَدَا

وَرَوْضَتُكِ الْغَرَّاءُ لَا شَكَّ جَنَّةٌ ۞ وَمِنْبَرُكِ السَّامِي عَلَيْهَا مُوَطَّدَا

مَدِينَةُ مَا أَغْلَاكِ فِيكِ تَرَدَّدَتْ ۞ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَٰنِ تَجْزِمُ سَرْمَدَا

وَلِلَّهِ مَا أَغْلَاكِ فِيكِ تَفَجَّرَتْ ۞ يَنَابِيعُ عِرْفَانٍ لِأَحْمَدَ سَيِّدَا

وَلِلَّهِ مَا أَغْلَاكِ مَوْطِئَ أَحْمَدٍ ۞ وَمَرْقَدَهُ إِذْ جَاءَ لِلْخَلْقِ مُرْشِدَا

رَجَائِيَ فَوْزٌ بِالْمُرَادِ وَحُقَّ لِي ۞ بِأَنْ أَرْتَقِي دَهْرِي وَأَسْبِقَ مُفْرَدَا

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى سَيِّدِ الْوَرَى ۞ مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ دَهْرًا مُؤَبَّدَا

وقلت أيضاً :-

تَجَرَّدْتُ عَنْ مَلْبُوسِيَ الْيَوْمَ مُحْرِمًا ۞ تَجَرَّدَ قَلْبِي عَنْ سِوَاكَ مُعَظِّمَا

وَإِنْ طُفْتُ بِالْبَيْتِ الْمُعَظَّمِ قَدْرُهُ ۞ إِلَٰهِي، فَقَلْبِي حَوْلَ ذَاتِكَ خَيَّمَا

وَسَعْيِي بَيْنَ الصَّخْرَتَيْنِ مُشَاكِلٌ ۞ لِسَعْيٍ مَضَى لِي فِي الصِّفَاتِ تَكَرُّمَا

وارتحلنا من طيبة ضحوة يوم الاحد الثالث من ذي الحجة، واغتسلنا

في الحمام الحرمي، ولبسنا الازار والرّداء والنعلين، ودخلنا المسجد النّبوي، وصلّينا ركعتي التحية و زرناه وودّعناه ، ولما وصلنا ذا الحليفة صلينا ركعتي الاحرام واستغفرنا ثلاثا ونوينا الحج وأحرمنا الله تعالى ثم لبّينا، وسرنا النّهار كله وبتنا في رابغ، وفي الصّبح رحلنا منها ووصلنا الى جُدّة قبل انتصاف النّهار قاصدين مكّة المكرّمة والحمد لله أوّلا وآخرا.

■ والمحطات بين المدينة المنوّرة ومكة المكرمة أربع عشره

- أولها : بئر علي وهي ذو الحليفة - والثانية : الفريش
- والثالثه : المسيجيد - والرابعة : الشافية
- والخامسة : أبيار بني حسان - والسادسة : مستورة
- والسابع : رابغ - والثامنة : تول
- والتاسعة : ذهبان - والعاشرة : جدة
- والحادية عشر : أم السلم - والثانية عشر : بحرة
- والثالثة عشر : الشميسي - والرابعة عشر : مكة المكرمة

قلت :-

أَرَى أَنَّمَا الْهَادِي الْأَمِينَ إِلٰهُنَا ❀ قَدِ اتَّحَفَهُ مَا فَاتَ فِكْرِي وَخَاطِرِي
أَرَاهُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ قَائِمًا ❀ وَأَوْصَافُهُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ وَظَاهِرِ

فَطَهَ وَرَبِّ ٱلْبَيْتِ عَيْنٌ وَإِنَّمَا ۞ يَرَى ٱلْعَيْنَ غَيْبًا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرِ
تَنَوَّرْتُهُ فِي حَالَتَيْهِ تَوَسُّمًا ۞ فَلَمْ يُمْكِنِ ٱلتَّصْرِيحُ بِٱلْمُتَظَاهِرِ

وركبنا من جدة إلى مكة بعد العشاء الأخيرة ، ووصلنا إلى ذى طوى بعد انتصاف الليل وبتنا فيها أى فى "جرول"، وبعد طلوع الشمس اغتسلنا ودخلنا مكة وطفنا بالبيت وسعينا بين الصفا والمروة وذلك يوم الثلاثاء ، ومن حسن الاتفاق أن البيت وجدناه مفتوحا وطفنا جميعا نحن وسلطان كنو وجماعته يتقدمنا رجل اسمه الحسن المطوّف ، وبقينا بلا مطوّف والحمد لله وله المنه، وأسكننا الله - حيث أنا ضيفه - ببيت مجاور لبيت الله الحرام نكون فيه وننظر الى البيت والحمد لله تعالى، وكنت أقول :

" ٱللَّهُمَّ إِنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِالنَّظَرِ إِلَى
بَيْتِكَ ٱلْحَرَامِ بِٱلنِّيَّةِ ٱلَّتِي كَانَ يَنْظُرُ بِهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

وفى يوم الأربعاء تلاقيت بحبيبى الولى الصالح والنور الواضح الشريف المنيف سيدى أحمد التبر، وفرحت به فرحه بى ، وقال لى ما معناه الم تكتب رؤيا رأيتها بك قبل وهى :

" إِنِّي رَأَيْتُكَ تَتَوَلَّى جَمِيعَ ٱلْمَشَارِبِ " ،
ومعناها: " إِنَّكَ مُحِيطٌ بِٱلْمَشَارِبِ " .

وفتحت الكعبة ، وازدحمت مع الناس حتى دخلت ، وقال لى الشيخ

حاجب الكعبة عبد الله الشيبي : مالك لم تعلّمني أفتح لك في وقت ما فيه أحد إلّا أنت ومن تحب ، وفتح لنا ليلة الخميس بعد نوم النّاس أنا ومريدي سلطان كنو وقوم من خاصته ، ووجدنا وقتا لا يباع بدينار ولا درهم والحمد لله تعالى ، وتحقّقنا الظفر بكلّ مطلب ، وفي تلك السّاعة نزل المطر علينا تحت الباب وتحت ميزاب الرحمة والحمد لله تعالى .

وفي يوم الخميس أتاني الشريف المنيف والعلاّمة الغطريف من لا أشكّ في ولايته وصلاحه سيدي علي الكتبي ، وطلب مني تجديد ما عنده من الطّريقة ، وقلت له : إلى وقت العشاء ، وأعطيته الطّريقة وقدّمته بكل ما عندي من الإجازات ، وأرجوا من آللّه أن ينصر به الطّريقة ، حقّق الله رجاء نا فيه وفي جميع الأحباب .

وأقمنا يوم الجمعة - وهو يوم التروية - حتى صلينا الجمعة بالحرم وطفنا وذهبنا إلى منى وبتنا فيها ليلة عرفة الأولى ، ولما طلعت الشمس على ثبير ذهبنا إلى عرفة ضحوة يوم السبت ، ونزلنا عند مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام المسمّى بنمرة ، وضربنا خيمتنا ولما زالت الشمس اغتسلنا غسلا بلا دلك أو بدلك ضعيف ، وذهبنا وصلينا مع الامام الظهرين قصراً وجمعاً ، ورحنا إلى محلّتنا

وأكلنا، ومشينا إلى "جبل الرحمة" موقف النبي ﷺ في عرفة، وإن كانت عرفة كلها موقفا، ووقفنا - لله الحمد - على أرجلنا بعد ما ركبت جملاً لامتثال السنة، وعمرنا وقوفنا بالدعاء والتضرع وذكر الله تعالى حتى غربت الشمس، ولما تحققنا الغروب نزلنا إلى خبائنا . ومن علامة إستجابة دعائنا وقضاء جميع حوائجنا أنا ما مددنا أيدينا للدعاء إلا نزل المطر، وهذا وقع للعبيد الحقير عند البيت، وعند عرفة، وعند منى، وغير ذلك مما لا أبوح به، قال الشاعر :-

وَمَا كَتَمْنَاهُ مِمَّا لَا أَبُوحُ بِهِ ❀ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا كُنَّا كَتَبْنَاهُ

وبعد غروب الشمس بساعة لأمر اقتضى ذلك ركبنا إلى المزدلفة ليلة الأحد ووصلنا إليها، وصلينا العشاءين جمعا وقصرا في مسجد المشعر الحرام، ورجعنا إلى خيمتنا وبتنا وعند طلوع الفجر توضأنا وصلينا ومشينا إلى المشعر الحرام، ووقفنا للدعاء حتى أسفر الصبح وركبنا إلى منى والتقطنا الحصيات السبع من وادي المزدلفة، وأسرعنا في بطن وادي النار بالسيارة، ولما وصلنا منى مشينا حينا إلى جمرة العقبة ورميناها بالحصيات السبع، وجئنا لخيمتنا وقد سقنا هديا للتطوع بَدَنَةً ونحرناها توكيدا لأنا لا نتقن النحر، وحلقنا عند الحجامين الذين عند جمرة العقبة، ودفعنا لهم ما يرضيهم

بلا مشارطة وهي من "مسائل الاستحسان"، وذكرنا الوارد في الحلق وهو :-

" اَللَّهُمَّ هَٰذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ فَاجْعَلْ لِي بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورًا يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَبَارِكْ لِي فِي مَعِيشَتِي وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَتَقَبَّلْ مِنِّي عَمَلِي "

وكبّرنا عند الحلق، واستقبلنا القبلة، ولمّا تم الحلق دفنّا الشعر وقمنا وصلّينا ركعتين، وسرنا الى مكة بعدما صلّينا الظهر لعذر وقع لنا ولولا ذلك لذهبنا الى مكّة ورجعنا قبل الظهر، وطفنا طواف الافاضة تمام الحجّ بلباس إحرامنا، ولمّا تمّ لبسنا ثيابنا وفي ذلك أقول :-

وَحَلَّيْتَنِي بَعْدَ اَلتَّخَلِّي تَفَضُّلاً ۞ وَحَيْثُ اَلتَّجَلِّي كَانَ لِلْعَقْلِ مُذْهِلاَ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْرَىٰ وَأَلْبَسَ زَائِرًا ۞ وَأَتْحَفَ بِالْمَأْمُولِ سَيْبًا مُرَسَّلاَ

وأدركنا العصر في مكة وصليناها فيها ورحنا الى منى وصلينا المغرب في محلنا جماعة وقصرا للعشاء بعدها جماعة والصّبح كذلك، ولمّا زالت الشمس من يوم الاثنين توضّأنا وذهبنا ورمينا الجمرة التي تلي مسجد الخيف بسبع حصيات والوسطى كذلك، ووقفنا إثرهما نصف ساعة للدعاء، ورمينا جمرة العقبة، ورجعنا إلى المنزل لصلاة الظهر . وفي هذا اليوم زارنا رجال من أهل الفضل كبيرهم

الحاج محمد أمين رئيس المجلس الإسلامي بالقدس الشريف ، والثاني الحاج رياض الصلح من بيروت ، والثالث الحاج محمد عزة دروزه من القدس الشريف ، والرابع الحاج بشير السعداوي من دمشق من طرابلس الغرب ، وجعلنا ذلك يوم الثلاثاء وهو اليوم الثاني فتعجّل المتعجّلون وبقينا نحن بلا تعجّل ولله الحمد ، وفي ذلك اليوم فقدت نعلي عند الجمرة الأخرى ، وذلك قال لي فيه بعض الإخوان إنّه علامة الإجابة ، وفي الليلة قبل ذلك قال لي وليّ من الأولياء :

"أَنْتَ رَجُلٌ وَرِثْتَ مَقَامَ رَجُلٍ سَاكِنٍ فِي قَرْيَةِ فَاسٍ ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ كَوْنُكَ تَشْرَبُ ٱلْأَتَاي بَعْدَ رُجُوعِكَ وَلَمْ تَكُنْ تَفْعَلُ ذَلِكَ قَبْلُ" ،

وأرجو من الله أن يحقّق ذلك الرجاء .

- وفي يوم الاربعاء وهو ثالث الأيّام رمينا الجمار الثلاثة أيضا كعادتنا في اليومين قبله ، وزرنا مغارة جلس فيها النبيّ ﷺ وأنزلت عليه سورة المرسلات فيها ، ومسجداً نزلت فيه سورة الكوثر ، ومحلّ نزول الكبش الذي فدى به إسماعيل ، ومغارةً كانت تجلس فيها هاجر .

- ورحلنا من منى ونزلنا بمسجد المحصّب وصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصراً إلاّ المغرب ، ودخلنا مكة ، ومن منن الله علينا أن سلكنا الطريق التي تمرّ بمولد النبي ﷺ وزرناه وقرأت شيئا من محفوظاتي من الشعر في ذكر مولده ﷺ ، وفي هذه الأيّام كلاّ خادمي

سلطان كنو عبد الله بن عباس بايرو ، هذا وقد علمت مرافقتي مع الغاد مين الصّادقين العلاّمة الحاج معبد وصنوه في الارادة الحاج الأمين بن أبي بكر جازاهما الله خيراً وجازى سلطان كنو، سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وخرجنا عشية يوم الخميس الخامس عشر من الشّهر إلى التنعيم للإحرام بالعمرة ، ووصلنا قبيل غروب الشمس وجلسنا في مسجد سيدتنا عائشة لانتظار المغرب ولما وجبت المغرب دخلنا وصلينا الفريضة في داخل الحرم وخرجنا للحلّ وصلينا ركعتين سنّة الإحرام وأحرمنا ولبّينا وجئنا وطفنا بالبيت وسعينا بين الصفا والمروة داعين قائلين ما كان يقول ﷺ وحلقنا عند الحلاّقين الذين عند المروة ، ورجعنا فرحين حيث تمت المناسك جميعا بفضل الله ومنته والحمد لله الذى ارانا مناسكنا، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها .

وقد ظفرت يوم الجمعة السّادس عشر بعدّة كتب كلّها من مكة ،

أوّلها : مصحف شريف أجزاؤه اثنا عشر،

وفتح البارى ومقدمة لابن حجر العسقلانى ،

والكرمانى على البخارى ،

وتنوير الحوالك على موطإ الامام مالك ،

وديوان عمرو بن أبى ربيعة المخزومى ،

وكمال البلاغة ،

والرسائل النادرة ،

وحصول المأمول فى الأصول وهدى الرسول ،

وجزء من تفسير الفخر الرازى ،

وجسوس على الشمائل ،

وقواعد أبي الفرج ،

وإرشاد الفحول ،

وغاية النهاية فى طبقات القرّاء ،

والبداية والنهاية فى التاريخ ،

والاستخراج فى أحكام الخراج ،

ومجموعة الرسائل المخمس ،

وتأييد القول بنجاة أبوي الرسول ،

وثلاثة أجزاء من حلية أبى نعيم والباقى تحت الطبع ،

ورياض الجنة ،

وجواهر الألفاظ ،

والاعتصام للشاطبى ،

وقواعد الاحكام لابن عبد السلام ،

وديوان أشعار الصّحابة ، والباقي من المدينة.

وفي يوم السبت خرجنا لزيارة المآثر والآثار، أوّلها وأولاها دار الأرقم التي بدأ فيها الاسلام غريبا وهي الخيزرانة، ومنها إلى جبل أبي قبيس، ومنه إلى مشقّ القمر، ومنه إلى مولد سيدنا على بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ومنه إلى مولد سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم ومنه إلى مولد سيّدتنا فاطمة بنته صلّى الله عليه وسلّم، ومحل أمّنا خديجة، ومنه إلى المعلّى ، وزرنا قبور الصّحابة وعرفنا منها قبرَ عبد الله بن الزبير، وقبرَ أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، وقبر عبد الرّحمان أخيها، ثم قبر خديجة وآمنة وآل البيت، ومن هناك زرنا سيّدي الغالي أبا طالب، ورحنا لصلاة الظهر، وبعد انقضاء الصّلاة استدعانا المريد الصادق سيدى على الكتبي الشريف المنيف، واجتمع هنالك أعيان التجانيين من الحجّاج من سودان مصر والشناقطة والتكارير والعرب، وأكرمنا وأنشدنا بعض الأحباب شيئاً من شعر المحبّين، وتذكّرنا أهل "كوس" و"مدينة"، فجازى الله عليّاً الكتبي أحسن الجزاء وأيده بنصره ورفع عن أهله كلّ بلاء آمين ،

وجدّدت لهم الطّريقة وكبيرهم سيّدي محمد حفيد سيدي محمد المختار التجاني من بلدة متمه في سودان مصر ، وقد جدّد عليّ الطريقة، وساعدته ببعض ما طلب منّي من أسرار الطريقة، وهو

رجل لا أشكّ في وصوله ، وكذلك تعرّفتُ بسيّدي محمود أفندي بن علي بن جاد عضو الطائفة المحمديّة التجانية بالخرطوم البحري وهذا السيد من أكابر أصحاب الشيخ، وقد قدمته في الطريقة وأتحفته بجلّ أسرارها التي عندي كما فعلتُ ذلك مع سيدي علي المتقدم ذكره.

وفي رجوع من عندهم رأيت عند البيت عند الركن اليماني شاباً من أشراف آل فاس وقلت له : من لقيت من الصالحين في هذه البلدة المقدّسة ، قال : "لقيت وليّاً من أهل الكشف وأخبرني أنه لما أتى البيت وقع له حال كبير غاب عن حسه ولقي الخضر عليه السلام وبعد ذلك رأى الرسول ﷺ والخلفاء الاربعة وقال له :

"يَحُجُّ في هَذَا ٱلْعَامِ ٱلْغَوْثُ ، وَيُغْفَرُ لِجَمِيعِ أَهْلِ ٱلْمَوْقِفِ وَلِوَالِدِيهِمْ"،

وقال له : دلّني عليه لأزوره وأطلب منه الدعاء ، قال له : ستلقاه عند الركن اليماني"، قلت له : أتعلمه ، قال : لا ، وقال : من لقيت قلت : لقيتك"، وذلك ليلة الأربعاء لعشر بقين من ذي الحجّة.

وفي يوم الاربعاء جمعنا متاعنا وطفنا طواف الوداع راحلين إلى جُـــدّة ، وَرَزَقَنِي ٱللَّهُ أَنْ طُفْتُ وَحْدِي بِٱلْبَيْتِ بَيْنَ ٱلظُّهْرِ وَٱلْعَصْرِ، وَهَذَا يَأْبَاهُ ٱلْعَقْلُ !

ورحلنا بعد صلاة العصر الى جدّه ، وأقمنا فيها بحكم الواحـــد

القهّار الى يوم الثلاثاء، وفى تلك الاقامة أقول :

بِجُدَّةَ جِسْمِي وَالْفُؤَادُ بِطَيْبَةٍ ❀ وَأَهْلِي وَأَحْبَابِي بِقَرْيَةِ كَوْلَخِ

عَلَى كَوْلَخٍ مِنِّي ٱلسَّلَامُ فَإِنَّنِي ❀ أُحَيِّي رُبَاهَا بِالْعَبِيرِ ٱلْمُضَمَّخِ

عَلَى فِتْيَةٍ غُرٍّ كِرَامٍ أَجِلَّةٍ ❀ سَلَامُ مَشُوقٍ وَسْطَ تَيْمَاءَ سَرْبَخِ

فَهُمْ فِتْيَةٌ بَاعُوا النُّفُوسَ لِرَبِّنَا ❀ فَمَنْ لِي بِمَذْكُورٍ وَبِالذِّكْرِ مُصْرِخِ

فَلَمْ أَرَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ❀ نَظِيرًا لِأَحْبَابِي عُمُومًا وَلَخِّخِ *

وأقول :-

حَيَاتِي بِسَنْغَالٍ وَطَيْبَةُ جَنَّتِي ❀ وَجُدَّةُ مِنْ دُونِ الْجِنَانِ صِرَاطُ

فَإِنْ مَسَّ عَبْدًا أَنْ يُقِيمَ بِجُدَّةٍ ❀ فَصَبْرًا فَهَذَاكَ الْمُقَامُ رِبَاطُ

وقد جئت أطلب باخرة تتوجّه الى بلاد الشّام أريد زيارة القدس الشريف ، واستخرت الله فاختار لى النّزول بطنجة بالمغرب الأقصى وقطعت أوراق الباخرة الزّرقاء المسماة بـ "هولت" وهى التى بلّغتنى هذه الديار والحمد لله أوّلاً وآخراً .

وركبنا من جدّة يوم الثلاثاء ضحوة لأربع بقين من ذى الحجّة قاصدين طنجة للإياب قائلين :

"آئِبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ ٱلْأَحْزَابَ وَحْدَهُ" .

---

* [illegible] الخَبَرَ : تَخَبَّرَهُ وَاسْتَقْصَاهُ . (القاموس المحيط)

ويوم الخميس ضحوة وصلنا الطُّور فاستقبلنا الطبيب وصعد ودخل في السفينة، وبعد ساعة استقبلتنا السنابك ونقلتنا جميعا إلى "الكَرَانْتِينَة" وأدخلونا في الحمام وألبسونا بعد الغسل جلابيب معدّة للحجّاج وأجلسونا نحو ساعتين في دار نظيفة فيها كراسي معدّة لذلك، وبخّروا ملابسنا ببخور عندهم وسرحونا ورجعنا إلى السفينة وسارت بنا، وبعد طلوع الشمس وصلنا السويس، وقلت في طور:

أَرَانِي بِطُورَ الْيَوْمَ صِرْتُ مُقِيمَا ❀ أَفُوزُ بِسِرٍّ جَاءَ فِيهِ كَلِيمَا

بِبَحْرِ سُوَيْسٍ قَدْ أَمُرُّ وَإِنَّنِي ❀ بِبُرْتِ سَعِيدٍ قَدْ أَشُمُّ نَسِيمَا

وَلَكِنَّنِي مَهْمَا أُجَاوِزُ طَنْجَةً ❀ أَرَى مَنْظَرَ الْهَادِي الْعِبَادِ فَخِيمَا

فَذَلِكَ شَمْسٌ وَالرِّجَالُ كَوَاكِبٌ ❀ فَكَيْفَ تَرَى عِنْدَ الشُّرُوقِ نُجُومَا

فَذَلِكَ رُوحُ الْكَوْنِ سِرُّ مُحَمَّدٍ ❀ عَلَيْهِ صَلَاةٌ مَا أَحَارَ حَكِيمَا

وفي يوم الثلاثاء السابع من المحرّم رأينا جبال طرابلس مملكة إيطاليا، وليلة الأربعاء حاذينا بلدة مرسيليا عاصمة فرنسا، وضحوة الأربعاء حاذينا بلاد تونس وزرت هنالك سيّدي العلامة العارف الربّاني سيده أبي إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي ومن معه من التجانيين.

ويوم الخميس مررنا ببلاد إسبانيا التي فيها الحرب الآن بينهم،

وفى السحر ليلة الجمعة مررنا بجبل طارق ، وعند الشروق وصلنا الى طنجة ، ونزلنا عن الباخرة ضحوة وصرت أودّع مع رفقاء الحجّاج وكلّهم يقول : لا بدّ أن تذهب إلى بلدنا ، أهل مراكش وأهل الرّباط وغيرهم ، وفى ذلك أقول :-

يَقُولُ لى الرّكبان كن فى ديارنَا   فإنّا لأَوْلَى أن تُقيم بدارِنا

فقلت لهم : أخلصتم الودَّ إنَّما   لفاس لهيب لا يقاس بنارنا

وخلصنا من الديوانة حيث نظروا الى وصيّة الدّولة الفرنساويّة التى أتحفونا بها سريعا من غير تكليف بأدنى شئ . وفى يوم السبت صنع لنا قُنْصُل فرانسيس (Consul français) ما يلزم من طبع الجوازات ، ولم يمنعنا من الركوب إلى فاس إلّا ما أشاعوا أن جنود إسبانيا يتعرّضون لنا فى الطريق ان لم يكن معنا طابع منهم ، فأقمنا يوم السبت وطبعوا لنا ، وليلة الأحد ركبنا إلى فاس ونزلنا بها صبيحة الأحد وأقمنا فى زاوية الشيخ بعد نزولنا فى منزلنا دار الشريف سيدى حدو المتقدم ذكره ، وبعد العصر سرنا الى مدينة صُفرو لملاقاة سيدى أحمد بن السائح ونزلنا عنده وأكرمنا وأتحفنى بعصا الختم التجانى التى لا توجّه لشئ بهمّة الشيخ رضي الله عنه إلّا وانقاد بتيسير الله تعالى ، وأعطانا مشاهد الخليفة على حرازم وكَنّاش سيدى أحمد العبدلاوى ، ووعدنى بنسخة من جامع الامام

محمد بن المشري، جازاه الله أحسن الجزاء، وركبنا من عنده بعد المغرب إلى فاس ونزلنا بالمحطّة لقصد الركوب الى الدّار البيضاء ليلة الاثنين، وركبنا في سفينة البرّ من فاس بعد صلاة العشاء، وعند طلوع الشمس نزلنا بالدار البيضاء عند المقدّم سيدي محمد الحسن بن علي السوسي المقدّم التجاني بالدار البيضاء، وأكرم مثوانا، وبعد الضّحى سرنا الى صاحب الباخرة وقطعنا أوراق الركوب إلى دكار وأعلمونا أن الباخرة المسماة بالكتيبة تخرج يوم الثلاثاء العاشر من المحرّم، وبتنا ليلة عاشوراء عند العلامة العارف الربّاني سيدي أحمد بن الحاج العياشي السكيرج، ركبنا إليه من الدار البيضاء بعد صلاة العصر في "سطات" وبعد ساعة وصلنا إليها في السيارة وفرح بنا وأكرمنا غاية، وهو الذي قال هذا اللّغز في النّحو :-

أَيُّ فِعْلٍ أَتَى بِلاَ فَاعِلٍ حَقْـ ﴿﴾ ـقًا وَقَدْ - طَالَمَا - بَحَثْتُ عَلَيْهِ
قَلَّمَا يَعْثُرُ الَّذِي مَارَسَ النَّحْـ ﴿﴾ ـوَ عَلَيْهِ وَقَدْ يَرَاهُ لَدَيْـهِ ؟!

فقلت مجيباً له :

طَالَمَا تَمَّ بِالسُّؤَالِ جَوَابٌ ﴿﴾ مِنْ لَبِيبٍ جِيبَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ
قَلَّمَا شَدَّ لِلَّبِيبِ رَحِيلٌ ﴿﴾ لَمْ يَنَلْ مَا ضَنَّ الْبَخِيلُ عَلَيْهِ

بعدما قلت له قطعة فأجابني، وستأتي القطعتان فيما يأتي من

الأشعار إن شاء الله تعالى . وخرجنا من سطات يوم عاشوراء بعدما روى لنا الفقيه المذكور حديث عاشور بسنده المتصل إلى النبي ﷺ وكلهم رواه يوم عاشوراء ، أحتسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله.

وبعد صلاة العصر ركبنا في الباخرة المسماة بالكتيبة وهي أجمل باخرة رأيناها، وشيعنا المقدم البركة السيد السوسي حتى ركبنا وسارت عند غروب الشمس إلى دكار ووصلنا "لاس پالماس" يوم يوم الخميس ، وفي يوم الجمعة قلت :-

أَتْحَفَنِي ٱلْمَوْلَى بِوَسْطِ ٱلْبَحْرِ ۞ كَرَامَةً مِنْهُ كَبِيرَ ٱلسِّرِّ

نَشْكُرُهُ بِسِرِّنَا وَٱلْجَهْرِ ۞ بِسِرِّهِ وَبِجَمِيلِ ٱلسِّتْرِ

عَمَّرَ جَامِعاً لَنَا وَمَدْرَسَهْ ۞ وَجَادَ بِالْمَنَاهِجِ ٱلْمُقْتَبَسَهْ

وَرَزَقَ ٱلْأَصْحَابَ فَوْقَ ٱلْمُنْيَهْ ۞ بِصُحْبَتِي وَبِكَمَالِ ٱلْبُغْيَهْ

ثُمَّ صَلَاةُ ٱللَّهِ وَٱلسَّلَامُ ۞ عَلَى نَبِيِّ ٱللَّهِ ، وَٱلسَّلَامُ

ويوم السبت نزلنا بدكار ضحوة الرابع عشر من المحرم الموافق لسبع وعشرين من مارس ، ولم يزل معي المحبان الصادقان الخادمان الأرضيان تقبل الله منا ومنهما ، وهما الحاجان المذكوران أول الرحلة معبد بن أحمد والأمين بن أبي بكر رعاهما الله آمين ووجدنا العلامة الأرشد والبدر المنير الأسعد الحاج محمد زينب صنوي ، والسيد محمد الهادي صنوي ، وأبوبكر صنوي ،

والحاج عمر كن صاحبي ، وخاصّة أحبابي كلّهم واقفين عند الموسىٰ
ينتظرون نزولنا ونزلنا عند ربّ منزلنا المتقدّم ذكره ، وظللنا يومنا
ذلك وبتنا وسرنا زوال غدِ يوم الأحدِ إلى كولخ ، فلما بلغنا
قرية "كِيصْ" (Thiès) تلقّانا الأخ بمنزلة الأب العالم الامام
والسيد الهمام الحاج أبوبكر وفرح بقدومنا وسار بنا إلى داره
وبتنا عنده ليلة الاثنين في كمال سرور، وقام بإكرامنا وإكرام
من يفد علينا ، ويوم الاثنين عند الزّوال سار بنا الى المدينة
جازاه الله خيراً ، وأتينا المسجد وحييناه وسلمنا على الأحباب
ودعونا لهم ووعظهم الأخوَان المذكوران الحاجّان حتّى أقمنا
صلاة الظهر، وبعد الصّلاة جئت الدّار وسلّمت على الوالـدة
ودعوت الله لها ودعت لي ورضيت عنّي وهي في آخر عمرها ،
فإنّها توفيت بعد صلاة العصر يوم الإثنين لثمان بقين من المحرّم
وقلت مؤرّخا :-
"شُمُوسُ هَادٍ"* فِيهِ مَاتَتْ عَائِشَهْ ۞ وَلَمْ تَزَلْ وَسْطَ الْجِنَانِ عَائِشَهْ
وسلمت على الحلائل والأخوات ورجعت إلى بيتي سالما غانما
ولله الحمد والمنّة .

---

* أي عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٤٦م رضي الله عنها وعنا بها آمين

ذكر الأشعار التي قلت ولم تكتب في محالها من الرحلة

منها في عرفة :-

لبيك تلبية من واصل عرفة ❀ من كل فج منتهى الدنيا إلى عرفه
والحمد في ذا وذاك للإله فما ❀ للعبد من مدخل في الأمر إن عرفه

ومنها :-

بخيف منى نلت المنى اليوم شاكرا ❀ وقربت زلفى حين جئت المشاعرا
وذى عرفات لا أبوح بسرها ❀ ويشهد مولى الخلق قلبي شاكرا

وقلت في البحر بعدما جاوزت الطور:-

فمن لي ببرق من سناء دكار ❀ وقد جاوز البابور بحر كنار
ويخرج قطار لكل فج قاصد ❀ تجاب به الأفلا لقرب مزار
فتلقى بدور العصر من كل ماجد ❀ إليه إذا عد الكرام مشار
أولئك قوم نحوهم نحو ربهم ❀ فحازوا بذاك النحو كل فخار
لئن جمع الأيام بيني وبينهم ❀ فيا حسن أيام مررن قصار

وقلت في وداع طيبة ومكة :-

يا طيبة المصطفى يا طيب رياك ❀ والحسن أجمع يلقى من محياك
علوت مكة ذات البيت إذ شرفت ❀ بالبيت والبيت من طه فبشراك

مِنّى إلَيْكِ سَلَامٌ كُلَّمَا وَفَدَتْ ❀ فِيكِ الْوُفُودُ وَلَبّى كُلُّ مَنْ جَاكِ

مِنّى إلَيْكِ سَلَامٌ كُلَّمَا وَرَدَتْ ❀ بِحُجْرَةِ الْمُصْطَفَى أَمْلَاكُ مَوْلَاكِ

مِنّى إلَيْكِ سَلَامٌ مَا الْحَبِيبُ ثَوَىٰ ❀ وَصَاحِبَاهُ وَأَنْصَارٌ بِمَثْوَاكِ

أَسْتَوْدِعُ اللهَ عِنْدَ الْمُصْطَفَى أَبَداً ❀ شَهَادَتِيَّ لِلُقْيَاهُ بِمَأْوَاكِ

أَسْتَوْدِعُ اللهَ عِنْدَ الْبَيْتِ إنَّ إلَهْ ❀ بِهِ وَاحِدٌ أَرْسَلَ الْهَادِي وَوَافَاكِ

وَلْتَكْتُبِ اللهُ إبْرَاهِيمَ نَاظِمَهُ ❀ وَوَالِدَيْهِ سَعِيداً عِنْدَ أَمْلَاكِ

وَكُلَّ مِنّى وَأَهْلٍ ثُمَّ مَا وَلَدُوا ❀ وَمَنْ يُحِبُّ ذَوِينَا دَامَ مَرْقَاكِ

وَارْزُقْ لَنَا زَوْرَةً جَمْعاً تَقَرُّ بِهَا ❀ عُيُونُنَا بِالْبَشِيرِ السَّاجِدِ الْبَاكِي

أَزْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ وَأَبْرَكُهَا ❀ عَلَيْهِ مَا شَغَفَ الْمُشْتَاقَ مَرْءَاكِ

وقد اختصرت الرحلة أىّ اختصار، ولم أذكر ما يتعلّق بالنّفقات والركوب بحراً لأمرين: أحدهما: إنه يختلف باختلاف الأزمنة والسكك، والثانى: إن فيه بعض تنفير إذا أحصى كلّه يظنّ الظّانّ أنه لا يكفى مادونه فيعوّق فيكون علىّ إثم من ذلك.

والأدعية ما ذكرت منها فى المواقف إلا ما ورد فى السنّة، وإلاّ فالغالب أنّى أدعوا بما شئت، وكثيراً ما أصلّى النّبىّ ﷺ فى الطّواف بالفاتح لما أغلق، وكان الشّوط بعشرين منها مرتّلة.

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلى العظيم.

خاتمة

أسأل الله تعالى حسنها، وتتميم لما فات في الرحلة من ذكر مسائل سئلت عنها فأجبت، وإجازات وغير ذلك

• إستدراك أبيات قلتها في فاس:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى وُصُولِي ۞ لِفَاسَ دَارِ شَيْخِنَا الْمَأْمُولِ ۞ شَيْخِي التِّجَانِي الْمُتَنَاهِي الْمَوْلِي

كُلَّ الْبَرَايَا مَا الْهُمْ مِنْ سُولِ ۞ بَرْزَخِ مَجْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْجِيلِ ۞ فَمَا سِوَى الْجِيلِي فَكُلٌّ جِيلِ

فَاتْرُكْ مَقَالَ ذِي هَوًى وَقِيلِ ۞ كَيْمَا تَرَى مَنَاهِجَ الْوُصُولِ ۞ فَلَنْ تَرَى مِنْ عَارِفٍ مَوْصُولِ

إِلَّا بِسِرِّ شَيْخِنَا الْمَقْبُولِ ۞ مَنْ زَارَهُ يَفُزْ بِكُلِّ سُولِ ۞ مِنْ كُلِّ سِرٍّ وَجَدَى مَحْصُولِ

وَزُرْتُهُ كَوَالِدِي وَأُولِي ۞ إِنَّا رَجَعْنَا بِجَمِيعِ السُّولِ ۞ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الْكَرِيمِ الْمَوْلِي

• أبيات قالها لي خديم الحضرة المحمدية أحمد السكيرج مجيباً لي:

يَا زَائِرِي وَبِقَلْبِي كَانَ مَثْوَاكَا ۞ نَسِيتُ مِنِّي يَدِي إِنْ كُنْتُ أَنْسَاكَا

سَرَيْتَ مِنِّي مَسْرَى الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي ۞ لِصِدْقِ حُبٍّ بِهِ مَوْلَاكَ حَابَاكَا

لَا تَحْسَبَنَّكَ قَدْ ضَاعَتْ خُطَاكَ وَقَدْ ۞ فَازَتْ بِوَصْلِكَ لِي بِالْيُمْنِ يُمْنَاكَا

وَاللّٰهُ يَرْعَاكَ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ ۞ وَنِلْتَ سِرًّا بِهِ تَطِيبُ مَحْيَاكَا

وَالصَّدْرُ مِنْكَ بِنُورِ الْحَقِّ مُنْشَرِحٌ ۞ حَتَّى بَدَا سِرُّهُ عَلَى مُحَيَّاكَا

طَلَعْتَ فِي حَيِّنَا بَدْرًا لَهُ ابْتَدَرَتْ ۞ مِنَّا طَلَائِعُ بِشْرٍ حَيْثُ يَرْضَاكَا

وَقَدْ تَلَقَّيْتُ بِنْتَ الْفِكْرِ مِنْكَ بِمَا ❀ فِيهِ رِضَاكَ وَكُلَّ الْخَيْرِ وَافَاكَا
فَاهْنَأْ بِحَجِّكَ وَاهْنَأْ بِالزِّيَارَةِ لِي ❀ بَلْ لِلتَّجَانِي وَدُمْ تَعْلُو بِعُلْيَاكَا
وَاحْمِلْ سَلَامِي إِلَى أَخِيكَ فَهْوَ أَخِي ❀ وَابْنِي الْحَقِيقِيُّ الَّذِي بِالصِّدْقِ وَاخَاكَا
لَا زِلْتُمْ أَهْلَ وُدٍّ فِي كَمَالِ رِضًى ❀ وَفِي مَرَاقِي الْعُلَا يَدُومُ مَرْقَاكَا

وهاهى الأبيات التى قلت له فأجابها :-

مَا كُنْتَ تَأْمُلُهُ هَاذَاهُ بُشْرَاكَا ❀ هَذَا خَلِيفَةُ قُطْبِ الْكَوْنِ مَأْوَاكَا
يَا بَهْجَةَ الْعَصْرِ إِنِّي لَسْتُ أَنْسَاكَا ❀ إِذْ لَمْ أَنَلْ فِي بِلَادِ اللهِ شَرْوَاكَا
فَكَيْفَ أَنْسَى الَّذِي أَشْوَاقُهُ مَلَأَتْ ❀ قَلْبِي فَقَلْبِي دَوَامًا عِنْدَ مَغْنَاكَا
بَلْ كُنْتُ أُرْسِلُ رُوحِي كُلَّ آوِنَةٍ ❀ هَاذَاكَ يَا شَيْخُ جِسْمِي الْيَوْمَ وَافَاكَا
سُكَيْرِجُ الْقَوْمِ سِرُّ الْخَتْمِ مَنْ خَضَعَتْ ❀ لَهُ الْمَعَالِي فَيَعْلُوا كُلَّ مَنْ حَاكَى
وَلَسْتُ نَاسِيَ إِحْسَانٍ مَنَنْتَ بِهِ ❀ وَلَا يَمَلُّ لِسَانِي عَوْضَ ذِكْرَاكَا
لَكَ الْهَنَاءُ بِمَا أَوْلَيْتَهُ أَرَبًا ❀ وَلِي الْهَنَاءُ بِرُؤْيَاءِ مُحَيَّاكَا

- وأول ما نبدأ به هذه الخاتمة إجازة الشيخ أحمد السكيرج لنا في الحديث المسلسل بالأولية عن جماعة من الشيوخ مشافهةً وأجازني فيهما معا عن البركة العدل الرضى أبى العباس سيدى أَحْمَد التميمي عن الشيخ الرحالة الراوية أبى الحسن عَلِيّ بن ظاهر الوتري المدني المقدسي

الشهير بابن بديري عن أبي النصر المصطفى الدمياطي وعن شيخنا القاضي السيد حميد بن محمد بن عبد السلام بناني وغيرهما عن الوتري المذكور، وهو أول حديث سمعته منهما بالأولية الحقيقية عن الأول وبالاضافية عن الثاني وهو عن شيخه الشيخ أحمد منة الله المالكي الأزهري، عن محدث الشام الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم حدثه به بدر الدين محمد بن أحمد بن عقيلة المكي صاحب المسلسلات عن الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي المشهور بابن عبد الغني عن الشيخ المعمر محمد بن عبد العزيز المنوفي عن الشيخ أبي الخير الرشيدي عن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني عن أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي عن أبي الفتح محمد بن محمد ابن إبراهيم عن أبي الفرج عبد اللطيف الحراني عن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي عن الحافظ أبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن النيسابوري عن أبيه أبي صالح المؤذن عن أبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي عن أبي حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز بزايين عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري عن سفيان بن عيينة وهنا انقطعت الأولية التي يقول كل واحد من الرواة: وهو أول حديث سمعته منه على الأصح، عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَٰنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، ولنا فيه طرق أخرى ذكرناها في تأليفنا

المعنون كشف الغمة بحديث الرحمة، وفي تأليفنا قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ وبذلك كله أجزنا الخليفة السيد الحاج إبراهيم بن الاخ المرحوم سيدى الحاج عبد الله أنياس وهو أول حديث سمعه منا، ولا بأس أن يجعله في أول كل درس من دروسه ليرويه عنه حاضروه فيتخلقوا بخلق الرحمة والله المستعان، قاله مجيزا كاتبه عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله اهـ. و

وأجازني أيضا في الحديث المروي في يوم عاشوراء مسلسلا عن شيخنا آخر قضاة العدل بحضرة فاس الشيخ سيدى حميد بن محمد بن عبد السلام بناني في يوم عاشوراء عن الشيخ الرحالة الراوية أبي الحسن على بن ظاهر الوتري المدني الحنفي في يوم عاشوراء عن الشيخ أحمد منة الله المالكي الأزهري في يوم عاشوراء وهو عن العلامة الأمير الكبير في يوم عاشوراء عن أبي الأسرار الشيخ حسن العجيمي في يوم عاشوراء عن السنهوري عن الغيطي عن أمين الدين محمد بن أبي الجود أبي النجار عن فخر الدين محمد السيوطي عن أبي الفرج بن الشيخة عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن قريش عن الشيخ عبد العظيم المنذري عن أبي حفص عمر بن طبرزذ عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان قال أخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي قال أخبرنا أبو الربيع قال أخبرنا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير بن عبد الله بن معبد الزماني بالميم عن أبي قتادة أن

النبي ﷺ قال: ﴿صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ﴾ رواه مسلم، وقال كل واحد من الرواة سمعته في يوم عاشوراء، وقد حدثت محل ولدنا البار الشيخ الخليفة سيدي الحاج إبراهيم بن المرحوم الحاج عبد الله انياس بهذا الحديث وأجزته فيه في يوم عاشوراء في ضمن ما أجزته بعد الحديث المسلسل بالأولية عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.

• إجازة أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فقد أجزت صاحبنا ومحبنا في الله ولذاته ابتغاء وجه الله ومرضاته الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله انياس الكولخي السنغالي في جميع ما تضمنه كتب العلامة الأمير الكبير المصري الواصل إلينا من طريق شيخنا المرحوم الاستاذ السيد بدر الدين الحسني الشامي الدار والوفاة المغربي الفاسي الأصل عن المرحوم الشيخ السقا عن الأمير الصغير عن والده الأمير الكبير إجازة تامة بشرطها المعتبر عند أهل التحري والخبر بالتروي في المروي والتحفظ في النقل والعمل بما علم حسب المقدرة والله يتولانا وإياه بعنايته ورعايته وتوفيقه للحصول على الرضى التام وحسن الختام بجميل

المتابعة له عليه الصلاة والسّلام . كتب هذا تجاه الكعبة المشرّفة بمكة المكرّمة عقب صلاة ظهر يوم الأربعاء الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام من عام خمسة وخمسين وثلاثمائة وألف، كتبه بخطّه صالح بن الفضيل التونسي المنشإ والمدنيّ المهاجَرَة والدّار، المدرّس بالمسجد النبويّ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمحبّيه والمسلمين آمين والحمد لله ربّ العالمين.

حِكَايَة

وكثيرا ما كنت ألقى بعض من يسئ الظنّ بأولياء الله تعالى وينسبهم للجهل بالكتاب والسنة وارتكاب البدع ، وجلّهم بل كلّهم لا يتكلم عن علم بل عن جهل فادح ، ويسئلونني إذا علموا أنّي من أهل الطريقة الأحمدية التجانية - رفع الله في الخافقين منارها ونشر في سائر البلدان أنوارها - عن الطريقة التجانية ما هي ، فأقول :

الطريقة التجانية : الاستغفار والصّلاة على النّبيّ ﷺ ولا إله إلاّ ألله ، تقرأ صباحاً ومساءً ، ولها إمام وهو سيدنا ومولانا أبو العبّاس أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ التِّجَانِي الشريف الحسني، يرفع نسبه كاملاً عن كامل الى مولانا مُحَمَّدٍ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، ونشأ في طاعة الله في

عفاف وديانة وتعلّم، وحَفِظَ الكتاب وهو ابن سبع سنين واشتغل بتعلم سائر فنون العلوم حتّى برع في العلم، وأجمع أهل المشرق والمغرب على جلالته في العلم وهو ابن احدى وعشرين، واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى ورفض الخلق جملةً طلبا للقرب من المولى جلّ وعلا حتى فتح عليه فتح العارفين بالله تعالى، وصار من أكابر أولياء الأمّة المحمدية، ولم يزل كذلك حتى أخبر - وهو عدل رضيّ - أنّ النبي ﷺ لقّنه طريقته المذكورة وأذن له في تلقينها لكافة الخلق لكل من طلبها ذكراً أو أنثى، حرّا أو عبدا، طائعا أو عاصيا، بشروط وهي :

الطّهارة

- وإتقان الصّلاة والمحافظة عليها في الجماعة السّنيّة
- وامتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه
- وعدم لباس حلة الأمن من مكر الله تعالى.

وضابط شروط طريقته وجميع ما ينسب إليه هو قوله رضي الله عنه الثابت عنه : " إِذَا سَمِعْتُمْ عَنِّي شَيْئًا فَزِنُوهُ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ، فَمَا وَافَقَ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ فَاتْرُكُوهُ ".

فيقول لي المعارض : قيل إنّه عنده صلاة على النّبيّ ﷺ فضّلها على القرآن وهي : " اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ اَلْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ "

فأقول كذب وافترى عليه رضي الله عنه من نسب ذلك القول إليه، فانه قال في جواهر المعاني مانصّه : " أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصّلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمره أوضح من الشّمس كما هو معلوم من استقراءات الشّرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين : الحيثية الأولىٰ كونه كلام الذّات المقدّسة المتّصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لايوازيه كلام . والحيثيّة الثانية : مادلّ عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدىٰ ومكارم الأخلاق والأحكام الإلٰهية والأوصاف العليّة التي لايتّصف بها الا الرّبّانيون، فهو في هذه المرتبة أيضا لايوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور، ثم ان هاتين الحيثيتين لايبلغ فضل القرآن فيهما إلاّ عارف بالله، فقد انكشف له بحار الحقائق، فهو أبداً يسبح في لججها، فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقّه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه يسمع من الذّات المقدّسة سماعاً صريحاً . لا في كل وقت وإنّما ذلك في استغراقه وفنائه في الله تعالى، والمرتبة الثانية في القرآن دون هذه، وهي من عرف معاني القرآن ظاهراً وألقىٰ سمعه عند تلاوته كأنّه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه مع وفائه بالحدود، فهذا أيضاً لاحق في الفضيلة بالمرتبة الأولىٰ إلاّ أنّه دونها . والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن

رجل لايعلم شيئا من معانيه ليس له إلا سرد حروفه ولا يعلم ماذا تدلّ عليه من العلوم والمعارف ، فهذا إن كان مهتديا كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربية إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقي سمعه عند تلاوته معتقداً أنّ الله يتلوا عليه تلاوة لايعلم معناها ، فهذا لاحق في الفضل بالمرتبتين إلا أنه منحطٌّ عنهما بكثير ، بشرط أن يكون مهتدياً موفيا بالحدود والواجبات غير مخلٍّ بشيء منها . والمرتبة الرابعة رجل يتلوا القرآن سواء علم معانيه أولم يعلم إلا أنه متجرّئ على معصية الله غير متوقّف عن شيء منها ، فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل ، بل كلّما ازداد تلاوةً ازداد ذنباً وتعاظم عليه الهلاك ، يشهد له قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِـَٔايَاتِ رَبِّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ الآية ، وكل من يحفظ القرآن ولم يتم بحدوده فقد اتّخذه هزؤاً وقال الله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشَرِّفُونَ الْمُتْرَفِينَ وَيَسْتَخِفُّونَ بِالْعَابِدِينَ وَيَقُولُونَ بِالْقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تَرَكُوهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

الكتاب ويكفرون ببعض ﴾ الحديث ، وأراد ﷺ أن يصدّق عليهم الوعيد الذى فى الآية ، قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ إلى قوله ﴿ أشدّ العذاب ﴾ ، وقوله ﷺ : ﴿ إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكرى ... ﴾ إلى قوله ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ فمن ترك العمل بالقرآن فقد نسيه والوعيد ثابت عليه ، فمثل هذا لا يكون القرآن فى حقه أفضل من الصّلاة على النبى ﷺ ، فأصحاب المراتب الثلاثة الأول القرآن فى حقّهم أفضل من الصّلاة على النّبىّ ﷺ ، وصاحب المرتبة الرابعة الصّلاة على النبى ﷺ فى حقّه أفضل من القرآن ، وبيان ذلك أنّه يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طرداً ولعناً وبعداً إلاّ أن يكون صاحب مرتبة إلهية فى الغيب مدخّرةً له فى المعرفة بالله العيانية ، فإنّه إن كان بهذه المثابة وحاله فى المرتبة الرابعة كما ذكرناه فتمحى جميع ذنوبه فى الغيب وتكتب جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التى حصلت له من الله بطريق المحبوبيّة ، فإن خلا عن هذه المرتبة فهو عند الله بين أمرين إمّا أن يعامله بالعفو فى الآخرة وعدم المؤاخذة بالعذاب على ذنوبه لسبب من الأسباب المعلومة فى القرآن وهى كثيرة ، وإمّا أن يناقشه ربّه الحساب فى الآخرة ثم يقول : لنآخذنّك بها

ذرّةً ذرّةً ، فصاحب هذه المرتبة الصّلاة على النّبيّ ﷺ أفضل له من تلاوة القرآن لكون ٱللّٰه يصلّي عليه بكلّ صلاة عشراً عشراً وجميع ما في كورة العالم عشراً عشراً لكلّ صلاة فيفوز بذلك بالسّعادة الأبديّة، فإن هذا الوعد من الله محقّق الوقوع ، وهذا واقع لكلّ مطيع وعاص، فكلّ من صلى عليه ربّه وصلّت عليه الملائكة فهو من أهل السعادة، فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك وٱلشقاء بتلاوة القرآن،وتقع له السّعادة والغفران بالصّلاة على رسول ٱللّٰه ﷺ "إه منه بجواهر حروفه . قلت : ومن أنصف وأنار ٱللّٰه بصيرته يعلم صدق قوله رضي الله عنه ،بل يعلم أنّ سكوت من إذا تلا القرآن يلعنه أفضل له من تلاوته ضرورةً . فيقول المعارض:فقد قال : إن صلاة الفاتح فيها كذا وكذا من الثواب ! فأقول : هذا ليس فيه تفضيل ؛ إذ كثرة الثواب لا تقتضي ٱلأفضليّة، فهي مزيّة والمزيّة لا تقتضي ٱلتّفضيل ، ففي فتح الباري في شرح صحيح البخاري ما نصّه : " وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمٰن بن جبير بن نعيم أحد التابعين بإسناد حسن قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لَيُدْرِكَنَّ ٱلْمَسِيحُ أَقْوَاماً إِنَّهُمْ لَمِثْلُكُمْ أَوْخَيْرٌ مِنْكُمْ ، ثلاثًا ، ولَنْ يُخْزِيَ ٱللَّهُ أُمَّةً أَنَا أَوَّلُهَا وَٱلْمَسِيحُ آخِرُهَا ﴾ ، وروى أبو داود والتّرمذى من حديث أبى ثعلبة رفعه : ﴿ يَأْتِي أَيَّامٌ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ ، قِيلَ

مِنْهُمْ أَوْ مِنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ بَلْ مِنْكُمْ﴾، وهو شاهد لحديث ﴿مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ...﴾، واحتج ابن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه ﴿أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَاناً قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي﴾ الحديث أخرجه الطيالسي وغيره، لكن اسناده ضعيف فلا حجّة فيه. وروى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال ﴿قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَأَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أَسْلَمْنَا مَعَكَ وَجَاهَدْنَا مَعَكَ، قَالَ: قَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي﴾ وإسناده حسن وقد صحّحه الحاكم، واحتج أيضا بأن السبب في كون القرن الأوّل خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفّار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسّكهم بدينهم، قال فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدّين وتمسّكوا به وصبروا على الطّاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء وزكت أعمالهم في ذلك الزّمان كما زكت أعمال أولئك، ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه ﴿بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ﴾. وقد تعقّب كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصّحابة من يكون أفضل من بعض الصّحابة، وبذلك صرّح القرطبي، لكن كلام بن عبد البر ليس على الإطلاق في حقّ جميع الصّحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبيّة، نعم

والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصّحابة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ، وأمّا من اتفق له الذبّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النّصرة وضبط الشرع المتلقّى منه وتبليغه لمن بعده ، فإنّه لا يعدله أحد ممن يأتى بعده ، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلّا وللذى سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده ، فظهر فضلهم ، ومحصّل النزاع يتمحّض فيمن لم يحصل له إلا مجرّد المشاهدة كما تقدّم ، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متّجها على أن حديث ﴿ .. لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ﴾ لا يدلّ على أفضلية غير الصّحابة على الصحابة لأنّ مجرّد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة اهـ

وفى كتاب الأحكام للقاضى أبى بكر بن العربى ما نصّه : "وروى أبو أمامة الشعبانى قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ، فقال أية آية ، فقلت : قوله تعالى ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فقال : أمّا والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ أَمْرَ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلَ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ " الحديث الى آخره ، الى أن

قال : المسألة الرابعة : تذاكرت بالمسجد الاقصى - طهره الله - مع شيخنا أبى بكر الفهرى هذا الحديث عن أبى ثعلبة ، وقوله ﷺ فيه ﴿إِنَّ مِنْ وَرَاءِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ، فَقَالُوا بَلْ مِنْهُمْ، فقال بَلْ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا﴾ وتفاوضنا كيف يكون من يأتى من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم أسسوا الاسلام، وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، وافتتحوا الأمصار ، وحملوا البيضة ومهدوا الملة ، وقد قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : ﴿دَعُوا لِى أَصْحَابِى فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ﴾ فتراجعنا القول فكان الذى تخلص من القول وتحصل من المعنى لبابا أوضحناه فى شرح الصحيح ، الاشارة إليه أن الصحابة كان لهم أعمال كثيرة فيما تقدم سرده ، وذلك لا يلحقهم فيه أحد ولا يدانى شأوهم فيه بشر ، والأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الأجر من أخلص إخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه ، وقد كان قليلا فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق ، وفى آخر الزمان أيضاً يعود كذلك بوعد الصادق ﷺ بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب

كما قال ﷺ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ ﴾ وقال ﷺ : ﴿ بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ ﴾" اهـ .

وفي الفروق للامام العلّامة شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن إدريس مانصه : " القاعدة العشرون التفضيل باختيار الرب تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على مايشاء فيفضّل أحد المتساويين من كلّ وجه على الآخر كتفضيل شاة الزكاة على شاة التّطوّع ، وتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصّلاة ، فإن الواجب أفضل مما ليس بواجب ، وكذلك تفضيل حجّ الفرض على تطوّعه ، والأذكار في الصّلاة على مثلها خارج الصّلاة . إذا تقرّرت هذه القواعد في أسباب التفضيل فاعلم أنّ هذه الأسباب الموجبة للتّفضيل قد تتعارض فيكون الأفضل من حاز أكثر وأفضلها ، والتفضيل إنّما يقع بين المجموعات وقد يختصّ المفضول ببعض الصّفات الفاضلة ولايقدح ذلك في التفضيل عليه لقوله ﷺ : ﴿ أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ ، وَأَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ ، وَأَقْرَأُكُمْ أُبَيٌّ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﴾ رضي الله عنهم مع أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل الجميع ، وكاختصاص سليمان عليه السلام بالملك العظيم ، ونوح عليه السلام بتعمير المئين من السّنين ، وآدم عليه السلام بكونه أبا البشر مع تفضيل محمد ﷺ على الجميع . فلولا هذه القاعدة وهي تجويز اختصاص

المفضول بما ليس للفاضل لَلَزِم التناقض . واعلم أن تفضيل الملائكة والأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين إنّما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والأحوال السنيات وشرف الرسالات والدرجات العليات فمن كان فيها أتمّ فهو أفضل ، وكذلك التفضيل بين العبادات إنّما هو بمجموع ما فيها ، فقد يختصّ المفضول بما ليس للفاضل كاختصاص الجهاد بثواب الشهادة والصّلاة أفضل منه وليس فيها ذلك ، والحجّ أفضل من الغزو وكذلك الحجّ فيه تكفير الذنوب كبيرها وصغيرها ، وجاء في الحديث : ﴿ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ﴾ ، وهو يقتضي الذنوب كلّها والتّبعات لأنّه يوم الولادة كان كذلك ، وقد ورد في بعض الأحاديث أنّ الله تعالى تجاوز لهم عن الخطيئات وضمن عنهم التَّبِعَات ، والصّلاة ليس فيها ذلك مع أنها أفضل من الحجّ وما ذلك إلاّ لأنّه يجوز أن يختصّ المفضول بما ليس للفاضل ، وقد تقدّم أن الشيطان يفرّ من الأذان والإقامة ولا يفرّ من الصّلاة مع أنها أفضل منهما وقد تقدّم تفضيله وأنّه يخرج على هذه القاعدة " اهـ

وفي قواعد الأحكام لعزّ الدين بن عبد السلام ما نصّه : " فإن قيل أيّهما أفضل قراءة (تبت) أم سورة (الكافرون) أو الإشتغال بالباقيات الصّالحات وهي : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، مع أن الباقيات الصالحات متعلقة بالله وهي ثناء عليه ، و(تبت) متعلقة بأبي لهب و(والكافرون) بالكفار ، والقول يشرف بشرف متعلقه ، فالجواب ما ذكرناه من أنه قد تكون القراءة أفضل من جميع الأذكار كالقراءة في قيام الصلاة ، وقد تكون الأذكار أفضل من القراءة في بعض الأطوار بل تكره القراءة في بعض الأحوال كالقراءة في الركوع والسجود والقعود، وكذلك قد يكون الثناء أفضل من القراءة والأذكار في بعض الأطوار كدعاء القنوت والدعاء بين السجدتين " اهـ

وقد عقد ما تقدم من كلام بن حجر العلامة الفقيه المحدث الصوفي سيدي محمد فال بن باب العلوي الشنقيطي : -

وَمَنْ يَقُلْ إِنَّ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ ۞ أَجْرًا مِنَ الْقُرْآنِ لَا يُكَفَّرُ ۞ إِذْ كَثْرَةُ الْأُجُورِ لَا تَسْتَلْزِمُ
الْأَفْضَلِيَّةَ كَمَا قَدْ يُعْلَمُ ۞ مِمَّا حَكَاهُ النَّوَوِي وَابْنُ حَجَرْ ۞ فِي الْفَتْحِ أَيْضًا نَصَّ ذَلِكَ ذَكَرْ
وَادِّيجَ ذَا جَهْلِهِ وَالْخِضْرُ ۞ فَجَاءَ مِنْهُمَا كَلَامٌ نُكُرُ ۞ بِهِ يُلَبِّسُ عَلَى ذِي الْجَهْلِ
وَكُلِّ مَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ ۞ فَكَفَّرَا إِمَامَ الْأَوْلِيَاءِ ۞ وَالْجَهْلُ وَالْحَسَدُ أَصْلُ الدَّاءِ

۞ ۞

تذييل في الحرمين الشريفين المكيّ والمدنيّ وحدود مسجديهما وما تيسّر من وصفهما، زادهما الله شرفاً

طول المسجد المكيّ من الداخل مائة وخمس وستون ميترا ، وعرضه مائة وثمانية أمتار، وعدد سواريه خمسمائة وخمسة وأربعون ، وفي وسطه هيكل الكعبة المشرّفة زادها الله شرفاً وتعظيما ، وقد جاءت على شكل مربّع بناؤه بالحجارة الصلبة الزرقاء وارتفاعها خمسة عشر ميترا ، ويمتدّ طول ضلعه الذي فيه الحجر الأسود على اثني عشر ميترا وعرضه على عشرة أمتار، وله باب بالمشرق يرتفع عن الأرض بنحو ميترين ، وفي داخله ثلاث سواري من العود الرّفيع ويوجد خارج البيت بناء محدودب مرتفع عن الارض بنحو ذراع واتّساعه دون ذلك ،قليلا ، ويرتفع الحجر الأسود عن أرض المطاف بنحو ميتر ونصف في كوّة مفضّضة مركوزة فيها ، كما ان الباب مفضّض، والسلم الذي يرقى به كذلك ، والبيت مغطّى بكسوة حرير سوداء يدور بها حزام من وشي الذهب ، وعلى حدود المطاف يوجد مقام

سيّدنا ابراهيم الخليل قائما فى مقابلة باب الكعبة على أربعة أعمدة بها قبّة مربعة شبابيكها من النّحاس يظهر منها الحجر الذى عليه أثر الخليل عليه السلام ، وبالقرب منه يوجد بئر زمزم وقد بنيت عليه قبّة رفيعة ، وبالقرب من المقام المنبر الرفيع ، وعدد المنارات سبعة ، والأبواب تسعة وأربعون .

وللمسجد الحرام معمل خاصّ لتنويره بالكهرباء ، فيكون اللّيل تشرق أنواره البهجة التى تلهى النّاظرين .

ومسجد النّبىّ صلى الله عليه وسلم - وفى المدينة ستة عشر مسجدا لاغير - هو فى وسط المدينه المنوّرة ، ومنظره الجميل يبهر العقول ويدهش الناظرين شكله البديع ويملأ القلوب فرحا وسرورا وحبورا ، وهو مستطيل يبلغ طوله مائة وستة عشر ميترا ، وعرضه من باب جبريل إلى باب السلام ستة وثمانون ميترا ، ومن جهة محل النساء إلى جهة باب الرّحمة إلى نحو باب المجيدى ستة وستّون ميترا ، وعدد أساطينه الضّخمة العديمة الشّكل ثلاثمائة وسبعة وعشرون ، قد رفعت عليها قباب صغار متصلة بعضها ببعض ومجموعها سقفُ المسجد مزخرفة مكتوبٌ فيها آيات وسور قرآنية ، والمنبر الشّريف من الرخام المنقوش بالذهب ، والمحراب النّبوى كذلك عن يساره والشباك الشريف

الذى على الحجرة الشريفة عن يسار ذلك، ويبلغ طوله ستة عشر ميتراً، وعرضاً خمسة عشر، وبالقرب منه بين باب جبريل وباب النساء محلّ أهل الصّفّة المعروف اليوم بـ"دكّة الأغوات" وطوله اثنا عشر ميتراً وعرضه ثمانية مرتفع عن أرض المسجد بقريب من ذراع، وهناك يجتمع خدّام الحجرة الشّريفة، ورئيسهم الشيخ خليل.

وللحرم النّبوى الشّريف معمل خاصّ بالكهرباء، فيكون - طول الليل - مشرق الأنوار مع الأنوار المحمدية على صاحبها أفضل الصّلاة والسلام. انتهى.

رزقنا الله وسائر احبابنا الصّدق فى العبودية

والقيام بحقوق الرّبوبية، والعود الى الحرمين

الشريفين المرّة بعد المرّة

ويتولانا ويتولاهم فهو

يتولّى الصّالحين.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق

والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق

والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله

حق قدره ومقداره العظيم

الفهرس

الموضوع — الصفحة